**المبحث الأول :** ماهية الدراسة الموازنة ...

**توطئة**

لا بد قبل البدء بالدراسة الموازنة بين كتابين أو منهجين أن نشير ولو باختصار إلى ماهيّة الدراسة الموازنة وبالتالي إلى أهميتها دراسة وتحليلا للوصول في النهاية إلى بيان أبعاد وأطر المحاور الأساسية ، وتوضيح السمات العامة لكلّ منهج يراد له أن يوزن بغيره أو يوزن به ، وعليه فسأتناول ماهية الدراسة الموازنة في مبحث أول وأهميتها في مبحث ثان مبينا ذلك بشيء من التفصيل والأمثلة ، إن شاء الله تعالى .

ماهية الدراسة الموازنة :

**أولا /** الألفاظ ذات الصلة .

**ثانيا /** المعنى الاصطلاحي لهذه المفردات .

**أولا /** الألفاظ ذات الصلة

ألفاظ الموازنة تتماثل مع ألفاظ المقارنة فهي توازيها في المعنى دون اللفظ وتقترن معها في المدلول وتتشابه معها أيضا في الدلالة اللغوية دون اللفظية وتلك من مميزات هذه اللغة فيما يسمى بـ ـ الإشتراك اللفظي ـ والتي تشرفت بكلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل ولا يصل إليه النقصان ما دام كلام الله يكلؤها ويحويها .

فلفظ واحد يتسع ليحوي معاني كثيرة بتصريف بسيط في حروفه بل حتى في حركاته ، إن كلّ كلمة في اللغة العربية تحمل معانيها بين طيّات حروفها فخذ مثلا كلمة " صرّخة " تفهم منها ذلك الصوت القوي المنبعث بشدّة والذي يتناسب مع شدة الخوف وقوة الإستغاثة والفزع ما يكون موجود أصلا في الصاد والراء والخاء التي هي بعض حروف الإستعلاء . على العكس من كلمة " همسة " التي توحي بذلك الصوت الحفيف الخفيف الذي تكاد لا تسمعه لخفته فالهاء والميم والسين كلها حروف لا تكلفك جهدا في النطق كغيرها وإنك لتحسها ذائبة تجري برفق وهدوء يناسب الهمس في سكون . من هذا الوجه يكمن السرّ في تغيّر اللفظ في قوله تعالى ** فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ** الكهف/ 97.

إذ أن الجهد المبذول في محاولة ارتقاء الجدار لعبوره أقل بكثير من الجهود المبذولة ليس في ثقبه بل في نقبه . فالثقب اختراق والنقب أقل منه ولذلك عبّر عن الجهد القليل بغير التاء فقال ** فما اسطاعوا ** وعبّر عن الجهد الكبير المضني بقوله ** وما استطاعوا ** على قاعدة (أن كل زيادة في المبنى تدلّ على زيادة في المعنى ) بل ربما تنطوي هذه المعاني تحت حركاتها فحسب حين تبدلها تقديما وتأخيرا أو رفعة وخفضا ..؟ انظر إلى الحركة وكيف يتغير بها المعنى على الضد والنقيض بمجرد تغيرها رفعة وخفضا ففي كلمة " ظِلال " والتي توحي بالهدوء والسكينة واللطف الذي يحميك من حرّ الشمس ولهيب القيظ فأنت فيه في برد الظلال ورقة الهواء ما يجعلك تحس بالأمان على العكس تماما من كلمة " ظَلال " بالفتح ما تجعلك تحس بالضياع والخوف بكل حواسك وبالتيه في مهاوي المجهول تتوقع المخاطر من كلّ اتجاه ولو كنت في بحبوحة من العيش وعندك الحرس والتحصينات فالضلال مخيف ولو كنت هناك قريبا على قيد خطوات فكيف إذا كان الضلال بعيد ؟؟؟ .

تسأل أبا الأسود الدؤلي أبنتهُ فتقول وهي تنظر إلى السماء وقد صفت وتزينت بالنجوم : يا أبتي ما أجملُ السماء ، فقال لها نجومها . فقالت ما إلى هذا رميت , قال تقصدين التعجّب ؟ قالت نعم قال إذا قولي ما أجملَ السماء . بالفتح حركة واحدة غيرت المعنى وبدلت المضمون , وحين دعي رحمه الله إلى تنقيط المصحف وتحريكه لكثرة من دخل الإسلام من غير العرب وفشو اللحن بين الناس أبى وقال كيف أفعل شيئا لم يفعله النبي  ولا أصحابه فشُدّدّ عليه فخرج مغضبا فمرّ في طريقه برجل يقرأ القرآن فألحن في قوله تعالى :

 أن الله بريء من المشركين ورسولَه  التوبة / 3 .قرأها بالفتح وهي بالرفع فقال ويحك قد كفرت دون أن تدري فرجع إلى الخليفة فقال قبلت ذلك يا أمير المؤمنين فتعجّب الخليفة وسأله عن سبب تغير رأيه فقال رجل جعل البراءة من المشركين ومن الرسول  .

وعليه فأنت لا تملك أن توازن بين شيئين إلا أن يكونا متماثلين ولا أن تماثل إلا بين متقارنين ولا أن تقارن إلا بين متوازنين كما سنرى من خلال التحقيق اللغوي لهذه المفردات الثلاث ـ قيد الدراسةـ وكذلك من خلال أقوال المفسرين في معاني هذه المفردات .

**أولا / الموازنة لغة واصطلاحا :**

لمادة ـ وزن ـ علاقة بمفردات غيرها تختلف عنها في اللفظ وتشاركها في المعنى من قريب أو بعيد ومن خلال البحث والتقصي وجدت أن هناك ثلاث مفردات تتقارب في المعنى معها ويكمل بعضهما الآخر .

**المفردة الأولى :** ( وزن ) ومنها الموازنة وقد وردت / 23 مرة في القرآن .

**والمفردة الثانية :** ( قرن ) ومنها المقارنة . وقد وردت / 40 مرّة فيه .

**والمفردة الثالثة :** ( مثل ) ومنها المماثلة . وقد وردت/ 170 مرّة فيه.

فالأولى ( وزن )

عند علماء اللغة ومنهم الراغب الأصفهاني حيث يقول في مفرداته :

" وزن ـ الوزن معرفة قدر الشيء ، يقال وزنته وزناً وزنة " والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط و ألقبان . وقوله تعالى :

 **وزنوا بالقسطاس المستقيم**  الشعراء / 182 .

و **وأقيموا الوزن بالقسط**  الرحمن / 9 إشارة إلى مراعاة – المعدلة – في جميع ما يتحراه الإنسان من الأفعال والأقوال .ويقال قام ميزان النهار إذا انتصف " . ( [[1]](#footnote-0) )

\* / ابن منظور يوسع دائرة النظر في هذه المفردة ويقول : " الوزن – روز الثقل والخفة .. والليث : ثقل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم ومثله – الرزن " .

\* / قال سيبويه : اتزن يكون على الاتحاد وعلى المطاوعة .. " وأنه لحسن

الو زنة أي الوزن ".

\* / قال أبو منصور " ورأيت العرب يسمون الأوزان التي يوزن بها التمر وغيره المساواة من الحجارة والحديد – الموازين – وأحدهما ميزان ، ويقال للآلة التي يوزن . بها الأشياء ميزان أيضاً .

قال تعالى :   **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** الأنبياء/47. يريد وضع ميزان القسط ، وفي التنزيل العزيز :

 والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحونالأعراف/ 8 .

\* / قال ثعلب : إنما أراد من ثقل وزنه أو خف وزنه فوضع الاسم الذي هو الميزان موضع الصدر . وقوله تعالى :

 فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً الكهف/105 . .

\* / قال أبو العباس : قال ابن الإعرابي : العرب تقول ، ما لفلان عندي وزن أي قدر – لخسته – وقال غيره معناه خفة موازينهم من الحسنات .

\* / ويقال وزن الشيء إذا قدره ووزن ثمر النخل إذا خرصه .

\* / قال قعنب ابن أم صاحب :

" مثل العصافير أحلاماً ومقدرة ً ---- لو يوزنون بزف الريش ما وزنوا "

" جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم ---- لبئست الخلتــان الجـهل والجـــبنُ "

\* / قال بن برّي : الذي في شعره شبه العصافير. ووازنت بين الشيئين موازنة ووزاناً ، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان محاذيه ، وقوله عز وجل :  **وانبتنا فيها من كل شيء موزون** الحجر/ 19. جرى على ـ وَزَنَ ـ من ـ قَدَرَ ـ الله لا يجاوز ما قدّره الله عليه لا يستطيع خلق زيادة فيه ولا نقصان ، وقيل من كل شيء موزون أي من كل شيء يوزن . والزّجاجّ : فسّر الموزون على وجهين .

\* / أحدهما : أن هذه الجواهر كلها مما يوزن مثل الرصاص والحديد والنحاس والثمينين الذهب والفضة كأنه قصد كل شيء يوزن ولا يكال . وقيل معنى قوله عز وجل :  **من كل شيء موزون** الحجر/ 19. انه القدر المعلوم وزنه وقدره عند الله تعالى ، والميزان المقدار وأنشد ثعلب :

" قد كنت قبل لقائكم ذا مرّةٍ ...... عندي لكلّ مخاصم ميزانه "

وقام ميزان النهار أي انتصف : وفي الحديث – { سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه . }( [[2]](#footnote-1) ). أي وزن عرشه في عظم قدره من ـ وزن ، يزن ، وزناً ، زنةً ، كوعد ، وعدة ، وأصل الكلمة الواو والهاء فيها عوض عن الواو المحذوفة من أولها . وامرأة موزونة قصيرة عاقلة – والو زنة المرأة القصيرة . الليث : جارية موزونة فيها قصر .

والوزي – القصير من الرجال الشديد الملزز الخلق المقتدر . وأوزان العرب ما بنت عليه أشعارها واحدها وزن ، وقد وزن الشعر وزناً فاتزن كلّ ذلك عن أبي إسحاق . ( [[3]](#footnote-2) )

وأضاف : وهذا القول أوزن من هذا أي أقوى وأمكن ، والميزان – العدل . ووازنه عادلة وقابله وقولهم هو وزن الجبل أي ناحية منه ، وهو زنة الجبل أي حذاءه . وفلان أوزن بني فلان أي أوجههم . ورجل وزين الرأي : أصيلة .. وفي الصحاح رزينة ... ووزن الشيء رجّحه ... وقدر وزن وزانه – إذا كان متثبتاً. وقال أبو سعيد أوزن نفسه على الأمر وأوزانها .. إذا وطن نفسه عليه .( [[4]](#footnote-3) )

أما صاحب معجم متن اللغة فيقول : " وزن – يوزن – وزانه وهو وزين أي راجح الوزن . وراز ثقله وخفته ليعرف وزنه . ثقّل شيء بشيء مثله .وإذا كاله فقد وزنه وقدره وحزره ووزن نفسه على كذا وطنها عليه ووزنه ووزن له – وزن الشيء رجّحه . إ تزن – ساواه في الوزن وأزنه – عادله وقابله وحاذاه ويقول توازناً أي تساوياً في الوزن والوزّان الذي صناعته الوزن والموزون الذي يجري عليه الوزن والميزان آلة الوزن جمعها موازين .( [[5]](#footnote-4) )

أما عند المفسرين فإن الوزن يطلق على معان ٍ أرجحها هو العدل على رأسهم الإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى في سورة الأعراف :

 **والوزن يومئذ الحق للرحمن**  الأعراف / 8 .

يقول : قال أبو جعفر " والوزن – مصدر من قول القائل وزنت كذا وكذا أزنه ، وزنا ، وزنة – مثل : وعدته ، أعده ، وعداً ، وعدةً " . ومعنى الكلام : والوزن يوم نسأل اللذين أرسل أليهم والمرسلين – الحق – ويعني بالحق العدل . وكان مجاهد يقول : الوزن في هذا الموضع - القضاء وكان يقول : أيضاً معنى " الحق " هاهنا العدل " .( [[6]](#footnote-5) )

ويشير ابن عطية الأندلسي في محرره الوجيز إلى اختلاف العلماء في معنى الوزن فيقول : " الوزن يومئذ الحق " – الوزن مصدر وزن ، يزن واختلف الناس في معنى الوزن والموازين ..

فقالت فرقة : إن الله عز وجل أراد أن يعلم عباده أن الحساب والنظر يوم القيامة هو في غاية التحرير ونهاية العدل فمثّل لهم في ذلك بالوزن والميزان إذ لا يعرف البشر أمراً أكثر تحريراً منه فاستعيروا للعدل وتحرير النظر لفظة الوزن والميزان . قال القاضي أبو محمد بن عطية :

" وجمع لفظ الموازين إذ في الميزان موزونات كثيرة فكأنه أراد التنبيه عليها بجمعه لفظ الميزان " . ( [[7]](#footnote-6) )

أما الماوردي فيورد خمسة تأويلات في معناه فيقول : " هي ـ القبان ، والحديد ، والمعيار ، والميزان ، والعدل " ويشير إلى اختلاف غير الذي ذكره ابن عطية فيقول : " واختلف قائلو هذا التأويل فيه ، هل هو عربي أو رومي ؟ فقال مجاهد والشعبي : هو العدل بالرومية وقال أبو عبيدة وابن شجرة : هو عربي وأصله القسط وهو العدل . ومنه قوله تعالى :  **قائماً بالقسط**  عمران / 18.

أي العدل .( [[8]](#footnote-7) )

وكذا قال في آية الرحمن ** وأقيموا الوزن بالقسط ** / 9 . أي العدل . قال مجاهد :" القسط العدل " . ( [[9]](#footnote-8) )

ونختم بالشوكاني في فتح القدير إذ يقول :  **والوزن يومئذ الحق**  الأعراف / 8 . الوزن مبتدأ وخبره الحق أي الوزن في هذا اليوم العدل الذي لا جور فيه .. أي الوزن العدل كائن في هذا اليوم . وقيل – الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق .

وقيل : الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء وذكرهما من باب ضرب المثل .. "كما تقول هذا الكلام في وزن هذا " .

قال الزجاج هذا سائغ من جهة اللّسان .

يقول الشوكاني : وقد ورد ذكر الوزن والموازين في مواضع من القرآن كقوله تعالى :  **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**  الأنبياء/ 47 .

وقوله  **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون**  المؤمنون / 101 . و **ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم**  المؤمنون / 102 .

 **فأما من ثقلت موازينه**   **وأما من خفّت موازينه**  القارعة / 6. ( [[10]](#footnote-9) )

وأضاف " والموازين جمع ميزان وأصله – يوازن – قلبت الواو ياءاً لكسر ما قبلها . وثقل الموازين هذا يكون لثقل ما وضع فيها من صحائف الأعمال "وقيل إن موازين جمع موزون " . ( [[11]](#footnote-10) )

**أما عن " قرن - يقرن – مقارنة "**

فيقول الراغب : " قرن : الاقتران – كالازدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني : قال تعالى :

 **أو جاء معه الملائكة مقترنين**الزخرف / 53 .

يقال : قرنت البعير بالبعير جمعت بينها ... وفلان قرن فلان في الولادة وقرينه وقرنه في الجلادة وفي القوة وفي غيرها من الأحوال قال تعالى :

 **إني كان لي قرين**  الصافات / 51 .

وقوله :  **وقال قرينه هذا ما لدي**  قاف / 23 . إشارة إلى شهيده والقرن القوم المقترنون في زمن واحد وجمعه قرون قال تعالى :

 **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم**  يونس / 13 .

والقرون من البعير الذي يضع رجله موضع يده كأنه يقرنها بها والقرآن الجمع بين الحج والعمرة ويستعمل في الجمع بين الشيئين .. " .( [[12]](#footnote-11) )

أما ابن منظور فيقول :

" القرن مصدر – قرن ، يقرن ، مقارنة فهو مقرون ،

والقرن – الذؤابة – وخص به بعضهم ذؤابة المرأة وضفيرتها ، والجمع قرون . وقرنا الجرادة شعرتان في رأسها . وقرن الرجل حد رأسه وجانبه وقرن الأكمة رأسها وقرن الجبل أعلاه وجمعها قران . والقرن للثور وغيره وكبش أقرن كبير القرنين والأنثى قرناء ، وحيّة قرناء لها لحمتان في رأسها كأنهما قرنان .

قال الأصمعي :

" القرناء – الحيّة ، لأن لها قرناً " وقرنا البئر هما الدعامتان من الخشب على حافتي البئر تعلق بها البكرة منه . وقرنا الشمس هما أو لها عند طلوع الشمس وأعلاها وقيل أول شعاعها . وقرنا الشيطان ناحيتا رأسه . وذو القرنين الموصوف في التنزيل لقب لإسكندر الرومي ، سمّي بذلك لأنه قبض على قرون الشمس وقيل سمي بذلك لأنه دعا قومه إلى العبادة فقرنوه أي ضربوه على قرني رأسه وقيل لأنه كانت له ضفيرتان . وقرني الجنّة أي طرفيها ، وقرن القوم سيدهم وقرن الكلأ أنفه الذي لم يوطأ وأصاب قرن الكلأ إذا أصاب مالاً وافراً . ( [[13]](#footnote-12) )

ابن الأعرابي – القرن – الوقت من الزمان يقال هو أربعون وقالوا ثمانون سنة وقالوا مائة سنة .

قال تعالى **: أو لم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن **الأنعام/6 .

وحديث النبي  خيركم قرني – يعني الصحابة ثم الذين يلوهم – يعني التابعين – ثم الذين يلونهم – يعني الذين أخذوا عن التابعين ".

قال : وجائزا أن يكون القرْن لجملة الأمة وهؤلاء قرون فيها . وإنما اشتقاق القرون من الاقتران ، فتأويله : إن القرن الذين كانوا مقترنين في ذلك الوقت الذين يأتون من بعدهم ذوو اقتران آخر . ( [[14]](#footnote-13) )

القرآن – الجمع بين الحج والعمرة ، وقرن بين الحج والعمرة قِراناً – بالكسر- أي وصلهما . تقول : جاء فلان وهو على قََرني أي على سني . قال الأصمعي : " قرنه في السن – بالفتح – وهو قرنه – بالكسر – إذا كان مثله في الشجاعة والشدة . والقرينة : فعليه بمعنى مفعوله من الاقتران وقد اقترن الشيئان وتقارنا . و جاؤوا قراني أي مقترنين . في التهذيب – جاؤوا قرانى و جاؤوا فرادى . وقارن الشيء بالشيء مقارنة وقراناً اقترن به و صاحبه واقترن الشيء بغيره و قارنته قراناً – صاحبته . ومنه قران الكواكب . وقرنت الشيء بالشيء وصلته . والقرين المصاحب .

قال تعالى :

** يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين **الزخرف/38. ( [[15]](#footnote-14) )

وصاحب متن اللغة يبين معاني القرن ومشتقاته بتفصيل فيقول :

" قرن – قرنا الفرس وقعت حوافر رجليه مواقع حوافر يديه . قرنه ُ قرناً ، شُدةُ ووصله أليه . وكذلك البعير يقرنهما قراناً وقرنا إذا شدّهما بحبل واحد . وقرنت السماء إذا دام مطرها أياماً . وقرن قراناً بين الحج والعمرة – جمع بينهما بنية واحدة . أقرن الحاجبين إذا التقى طرفا حاجبيه. واقترن به واقترنا صار له قريناً وصاحباً . قارنه صاحبه وصار قريباً له . وقرن بين أبناءه ساوى بينهم . وقرن على الأمر قوي عليه . وقرن فلان لفلان عازّه وصار عند نفسه من أقرانه.

والقرن الأمة تأتي بعد الأمة أو أهل زمان واحد أو كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد ، جمعه قرون . قرنا الشيطان أمّتاه من الأولين و الآخرين أي جمعاه اللذان يغريهما بإضلال البشر . والقرن المماثل في الشدة والشجاعة والمقاوم لك في أي شيء أو في شدة البأس فقط .( [[16]](#footnote-15) )

والمفسرون لا يبعدون كثيراً عما يقرره أهل اللغة إذ هي بعض مصادرهم في تفاسيرهم ولا سيّما من كان البيان اللغوي من سمات تفسيره : فأبوا حيّان الأندلسي في بحره المحيط يقول في معنى الاقتران عند تفسيره لقوله تعالى:

** أو جاء معه الملائكة مقترنين **الزخرف/53. أي يحمونه ويقيمون حجته وقال ألسدّي : يقارن بعضهم بعضاً .. وقال مجاهد يمشون معه .. وقال قتادة : متتابعين " . ( [[17]](#footnote-16) )

ويقول في قوله تعالى " ** وقال قرينه ** قاف / 23 . للدلالة على الجمع . أي مجيء كل نفس مع الملكين . ( [[18]](#footnote-17) )

قلت فيه دلالة على أن القرين هو المصاحب . وكذلك ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى :  **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا**  يونس / 13 .

يقول : " إن القرون هي الأمم السابقة ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم وأرسل أليهم رسولاً لينظر طاعاتهم له وأتباعهم رسوله " . ( [[19]](#footnote-18) )

وإلى ذلك ذهب الشوكاني في تفسيره لهذه الآية .( [[20]](#footnote-19) )

وعن معنى القرين في قوله تعالى :  **وقال قرينه**  يورد الماوردي لنا أقوالاً فيقول :" فيه ثلاثة أقاويل :

**أحدهما:** أنه الشيطان كان يغويه فلا يطيعه ، قاله مجاهد .

**الثاني :** شريك له كان يدعوه إلى الكفر فلا يجيبه قاله ابن عباس .

**الثالث :** أنهما اللذان في سورة الكهف**واضرب لهم مثلاً رجلين ** الكهف / 32 . إلى آخر قصتهما فقال المؤمن منهما في الجنة للكافر في النار . ( [[21]](#footnote-20) )

أي لقرينه الذي كان في الدنيا وهو الصديق والمصاحب .

**المفردة الثالثة " مثل – مما ثلة " : لغة ..**

يقول فيهما ابن منظور : " مثل ـ كلمة تسوية يقال هذا مثله ومَثلُهُ كما يقال هذا شبهه وشبيهه . والمثل : الشبه يقال مثل ومثل وشبه و شبه بمعنى واحد . قال ابن جنّي : قوله تعالى ** ليس كمثله شيء ** الشورى / 11. ( [[22]](#footnote-21) )

أراد ليس مثله لا يكون إلا ذلك ، لأنه إن لم يقل هذا أثبتّ له مثلاً تعالى الله عن ذلك .. وقوله تعالى  **فإن أمنوا بمثل ما انتم به**  البقرة / 137 .

قال أبو إسحاق : أن قال قائل وهل للأيمان مثل هو غير الأيمان . قيل له : المعنى واضح بين وتأويله أن أتوا بتصديق مثل تصديقكم في أيمانكم بالأنبياء وتصديقكم كتوحيدكم فقد اهتدوا أي قد صاروا مسلمين مثلكم .

ويضيف " والمثل : الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله " . وفي الصحاح : ما يضرب به من الأمثال . قال الجوهري ومثل الشيء أيضاً صفته . قال ابن سيده : وقوله تعالى :  **مثل الجنة التي وعد المتقون**  محمد / 15 . قال أبو إسحاق معناه صفة الجنة " .( [[23]](#footnote-22) )

قال محمد بن سلام : ومثل ذلك قوله تعالى :

** ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ** الفتح / 29 أي صفتهم .. إلا أن محمد بن يزيد القالي في كتابه " المقتضب " رد ذلك وقال :" التقدير فيما يتلى عليكم " مثل الجنة " ثم فيها وفيها قال ومن قال أن معناه صفة الجنة فقد اخطأ لأن ـ مثل ـ لا يوضع في موضعه صفة وإنما يقال صفة زيد أنه ظريف وأنه عاقل ، ويقال: مثل زيد مثل فلان . إنما المثل مأخوذ من المثال والحذو . والصفة تحلية ونعت " . ( [[24]](#footnote-23) )

والمثُل والمثيل كالمثل والجمع أمثال وهما يتماثلان كما قال تعالى :

** ولله المثل الأعلى ** النحل / 60 .

ويقال تمثّل فلان ضرب مثلاً وتمثل بالشيء ضربه مثلاً وفي التنزيل العزيز :  **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له**  الحج / 73 .

وقد يكون المثل بمعنى العبرة ومنه قوله عز وجلّ السابق . والمثل – ما جعل مثالاً أي مقداراً لغيره يحذى عليه والجمع المٌثٌل . . والمثال – المقدار وهو من الشبه وقد يكون المثل بمعنى العبرة ومنه قوله عز وجل :

 **فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين**  الزخرف / 56 . فمعنى السلف أنا جعلناهم متقدّمين يتعظ بهم الغابرون ومعنى قوله تعالى :  **ومثلاً**  أي عبرة يعتبر بها المتأخرون .. وقال الله في صفة عيسى عليه السلام :

 **وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل**  الزخرف / 59 أي آية تدّل على نبوّته وأما قوله تعالى :

 **ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون**  الزخرف / 57 .

جاء في التفسير :

أن كفار قريش خاصمت النبي  فلما قيل لهم :

 **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**  الأنبياء / 98 . قالوا قد رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى والملائكة الذين عبدوا من دون الله فهذا معنى ضرب المثل بعيسى . ( [[25]](#footnote-24) )

ويورد الشيخ أحمد رضا في معجم متن اللغة تعريفات لمثل ومشتقاته نوردها اختصاراً . فيقول" مثل – مثولاً قام منتصباً . مثل مثالة – حسن حاله .. صار فاضلاً والمثل – الشبه والمساوي جمعه أمثال . المثل – الشبه ومثال الشيء صفته . والمثال – المقدار جمعه مثل وأمثله . والمثالة حسن الحال والفضل . والمثيل الشبيه والنظير الفاضل في قومه .

وماثله – شابهه . وتمثله وتمثل به ضربه مثلاً . وامتثل الرجل من صاحبه قتله قصاصاً وقوداً . وتماثل العليل – قارب البرء وصار أشبه بالصحيح . ومثل تمثيلاً وتمثالاً بالشيء ومثّل له الشيء صوره حتى كأن ينظر أليه ". ( [[26]](#footnote-25) )

ثم يقول ابن منظور:

" والمثل والمثيل كالمثل والجمع أمثال وهما يتماثلان الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص .

وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين تقول نحوه كنحوه ، وفقهه كفقهه ولونه كلونه وطعمه كطعمه . فإذا قيل مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة والعرب تقول : هو مثيل هذا . والمثل : الشبه يقال مثل ومثل وشبه و شبه بمعنى واحد .

قال ابن جني :  **ليس كمثله شيء**  الشورى / 11. أرادوا ليس مثله لا يكون إلا ذلك ن لأنه إن لم يقل هذا أثبت له مثلاً تعالى الله عن ذلك وقوله تعالى :

 **فإن آمنوا بمثل ما أمنتم به**  البقرة /137. قال أبو إسحاق : أن قال قائل وهل للأيمان مثل هو غير الأيمان ؟ قيل له : المعنى واضح بين وتأويله إن أتوا بتصديق مثل تصديقكم في أيمانكم بالأنبياء وتصديقكم وتوحيدكم فقد اهتدوا أي قد صاروا مسلمين مثلكم . وفي حديث المقدام أن رسول الله  قال:

{ألا إني قد أوتيت القرآن ومثله معه }.( [[27]](#footnote-26) )

قال ابن الأثير: يحتمل وجهين من التأويل :

أحدهما :أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو ( مثل ) ما أعطي من الظاهر المتلو .

والثاني: أنه أوتي الكتاب وحياً وأوتي من البيان ( مثله ) أي أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعمّ ويخص ويزيد وينقص فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن . ( [[28]](#footnote-27) )

قال تعالى :  **ولله المثل الأعلى**  ص /22 . جاء في التفسير أنه قول لا إله إلا الله وتأويله أن الله أمر بالتوحيد .

ويقول الراغب فيها : " المثل عبارة عن قول في شيء يشبهه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما للآخر ويصوره .. نحو قولهم "الصيف ضيعت اللبن فإن هذا القول يشبه قولك : "أهملت وقت الإمكان أمرك ".. والمثل يقال على وجهين :..

أحدهما : بمعنى المثل نحو شبه وشبه ونقض ونقض قال بعضهم : " وقد يعّبر بهما عن وصف الشيء نحو قوله تعالى :

 **مثل الجنة التي وعد المتقون**  محمد / 15.

والثاني : . عبارة عن المشابه كغيره في معنى من المعاني . أي معنى كان ، وهو اعمّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة وذلك أن الندّ يقال فيما يشارك في الجواهر فقط ، والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط . والمساوي يقال فيما يشارك في الكميّة فقط ، والشكل يقال فيما يشارك في القدر والمساحة فقط ، والمثل عام في جميع ذلك ، ولهذا لما أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال :  **ليس كمثله شيء**  الشورى / 11 .

والأمثل يعبر به عن الأشبه بالأفاضل والأقرب إلى الخير ، وعلى هذا قوله تعالى :  **إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً**  طه / 104.

وقال تعالى: ** ويذهبا بطريقتكم المثلى ** طه / 63 . أي الأشبه بالأفضلية وهي تأنيث الأمثل".( [[29]](#footnote-28) )

بينما يقول ابن منظور في الأمثل " الأمثل – الأفضل – يقال فلان أمثل من فلان أي أفضل منه ، والطريقة المثلى التي هي أشبه بالحق وقوله تعالى :

 **إذ يقول أمثلهم طريقة**  طه /104. معناه أعدلهم وأشبههم بأهل الحق . وقوله تعالى حكاية عن فرعون أنه قال  **ويذهبا بطريقتكم المثلى**  طه / 63 . قال الأخفش : المثلى تأنيث الأمثل ، كالقصوى تأنيث الأٌقصى .( [[30]](#footnote-29) )

وفي الحديث { أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل } ( [[31]](#footnote-30) )

أي الأشرف فالأشرف والأعلى فالأعلى في الرتبة والمنزلة " .

إذا – الأمثل – كما قال ابن إسحاق: " معنى الأمثل ذو الفضل الذي يستحق أن يقال له هو أمثل قومه . يقال : هذا أمثل من هذا أي أفضل وأدنى إلى الخير .. وأماثل الناس خيارهم .. وفي حديث التراويح قال عمر  " لو جمعت هؤلاء الناس على قارئ واحد لكان أمثل " أي أولى وأصوب .

ومن المفسرين أبو حيان الأندلسي يتحفا في بحره المحيط ويسهب القول في تفسيره لمفردة المثل ومشتقاته فيقول في قوله تعالى:

** ليس كمثله شيء ** الشورى/11 . وتقول العرب:"مثلك لا يفعل كذا "، يريدون به المخاطب كأنهم إذا نفوا الوصف عن مثل الشخص كان نفياً عن الشخص . وهو من باب المبالغة .

فجرت الآية في ذلك على نهج كلام العرب من إطلاق المثل على الشيء نفسه وما ذهب إليه الطبري وغيره من أن مثلاً زائدة للتوكيد كالكاف في قوله :- فأصبحت مثل كعصف مأكول - ليس بجيد لأن – مثل- أسم والأسماء لا تزاد بخلاف الكاف فإنها حرف فتصلح للزيادة .

ونظير نسبة المثل إلى من لا مثيل له .. قولك : " فلان يده مبسوطة " يريد أنه جواد ، ولا نظير له في الحقيقة إلى اليد حتى تقول ذلك لمن لا يد له . كقوله تعالى  **بل يداه مبسوطتان**  المائدة / 64. فلما جعلت ذلك كناية عن الجود ففيمن لا يد له . فكذلك جعل المثل كناية عن الذات في من لا مثيل له . ويحتمل أيضاً أن يراد بالمثل الصفة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره وهذا محمل سهل والوجه الأول أغوص . ( [[32]](#footnote-31) )

ويضيف:.. " قال ابن قتيبة – العرب تقيم المثال مقام النفس . فيقول : مثلي لا يقال له هذا . أي :أنا لا يقال لي هذا . فقد صار ذلك كناية عن الذات فلا فرق بين قولك ليس كالله شيء أو ليس كمثل الله شيء ...

وقد أجمع المفسرون على أن الكاف والمثل يراد بهما موضوعها الحقيقية من أن كلاً منهما يراد به التشبيه وذلك محال لأن فيه إثبات مثل لله تعالى وهو محال . ( [[33]](#footnote-32) )

ويزيد هذا الموضوع بياناً حين يفسر قوله تعالى :

** ولما ضرب ابن مريم مثلا ** الزخرف/57 وقوله :

** وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ** /59 . ويقول فيهما لما نزل قوله :

** إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ** ونزل كيف خلق من غير فحل قالت قريش ما أراد محمد من ذكر عيسى إلا أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلاً " وقوله : **وجعلنا ه مثلاً ** أي خبرة عجيبة كالمثل لبني إسرائيل إذ خلق من غير أب ( [[34]](#footnote-33) )

ويقول الماوردي في المثلى  **ويذهبا بطريقتكم المثلى**  والمثلى مؤنث الأمثل ، والمراد بالأمثل الأفضل " .

ويستشهد بذلك بقول أبي طالب :

وإنا لعمرو الله إن جدّ ما أرى .......... لتلتبسن أسيافنا بالأماثل .( [[35]](#footnote-34) )



**المبحث الثاني : أهمية الدراسة الموازنة .**

**المطلب الأول**

**1/ أقسام التفسير وأنواعه :**

قلت :

لمّا كان موضوعنا الموازنة بين منهجين في التفسير والتفسير له أنواع وألوان أجد من الضروري أن أتناول أقسام التفسير وأنواعه ونماذج منه بشيء من البيان ، كي أعطي القارئ صورة واضحة عن أهمية الدراسة الموازنة .

**1/ أقسام التفسير :**

تفسير القرآن بين النقل والإجتهاد . يقول صاحب البرهان :" اعلم أن القرآن قسمان :

**أحدهما :** ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره .

**الثاني :** لم يرد .

**فالأول :** ثلاثة أنواع إما أن يرد تفسيره عن :

1/ النبي 

2/ أو عن الصحابة t .

3/ أو عن رؤوس التابعين  .

فالأول يبحث فيه عن السند ،فإن صح كان أساسا وإن ضعف أهمل ، والثاني ينظر في تفسير الصحابي فإن فسّره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم ، وإن فسّره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه ، وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك وإن تعذّّر قدّم ابن عباس ، لأن النبي  بشرّه بذلك حيث قال :

{ اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل } ( [[36]](#footnote-35) ) وقد رجّح الشافعي قول زيد في الفرائض لقوله  { أفرضكم زيد } فإن تعذر الجمع جاز للمقّلد أن يأخذ بأيها شاء . وأما الثالث وهم رؤوس التابعين إذا لم يرفعوه إلى النبي  ولا إلى أحد من الصحابة فحيث جاز التقليد فيما سبق فكذا هنا وإلا وجب الاجتهاد .

**الثاني :** ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب " المفردات " فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ ، لأنه اقتنصه من السياق . ( [[37]](#footnote-36) )

يقول صاحب البرهان :" روى عبد الرزاق في تفسيره قال : حدثنا الثوري عن ابن عباس أنه قسّم التفسير إلى أربعة أقسام :

1 / قسم تعرفه العرب في كلامها .

2 / وقسم لا يعذر أحد بجهالته كالحلال والحرام .

3 / وقسم يعلمه العلماء خاصة .

4 / وقسم لا يعلمه إلا الله تعالى . ومن ادعى علمه فهو كاذب .

قال الزركشي وهذا تقسيم صحيح ... والذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم وذلك شأن اللغة والإعراب " . ( [[38]](#footnote-37) )

وفي لفظ آخر قال ابن عباس " أنزل القرآن على أربعة أوجه :

1/ وجه حلال وحرام لا يسع أحدا جهالته .

2/ ووجه يعرفه العرب .

3/ ووجه تأويله يعلمه العالمون .

4/ ووجه لا يعلم تأويله إلا الله ، ومن انتحل فيه علما فقد كذب " . ( [[39]](#footnote-38) )

بينما نجد ابن خلدون يقسمه من وجه آخر فيقول : " صار التفسير قسمين :

**الأول :** قسم نقلي مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي .

**الثاني :** والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان ، من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة وتأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قلّ أن ينفرد عن الأول ، إذ الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة " .

ومن خلال هذا الالتقاء أي بين نشأة التفسير بالرأي الذي يمنعه بعضهم مطلقا ويستدلّ بحديث { من تكلّم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ } .( [[40]](#footnote-39) )

وقد تكلّم الماوردي عن هذا الحديث فقال: " قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ولو صحبتها الشواهد ، ولم يعارض شواهدها نص صريح ، وهذا عدول عما تعبّدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام ، كما قال تعالى :

**] لعلمه الذين يستنبطونه منهم [**النساء/83. ولو صحّ ما ذٌهب اليه لم يُعلم شيء بالاستنباط ، ولما فهم الأكثر من كتاب الله شيئا .

وإن صحّ الحديث فتأويله أن من يتكلّم في القرآن بمجرّد رأيه ولم يعرّج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق ، وإصابته اتفاق ، إذ الغرض أنه مجرد وأنه لا شاهد له ، وفي الحديث :

{ القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه } .( [[41]](#footnote-40) )

**فقوله ذلول يحتمل معنيين :**

**أحدهما /** أنه مطيع لحامليه تنطق به ألسنتهم .

**الثاني /** أنه موضح لمعانيه حتى لا تقصر عنه أفهام المجتهدين .

**وقوله " ذو وجوه : يحتمل معنيين :**

**أحدهما /** أن من ألفاظه ما يحتمل وجوها من التأويل.

**والثاني /** قد جمع وجوها من الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب والتحريم .

**وقوله " فاحملوه على أحسن وجوهه " يحتمل معنيين :**

**أحدهما /** الحمل على أحسن معانيه

**الثاني /** أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص ، والعفو دون الإنتقام ، وفيه دلالة ظاهرة على جواز الإستنباط والإجتهاد في كتاب الله تعالى

وهناك من يفسر " الرأي " في الحديث بـ " الهوى " ولذلك قال ابن الأنباري : " حمله بعض أهل العلم على أن الرأي معني به الهوى ، فمن قال في القرآن قولا يوافق هواه ، فلم يأخذه عن أئمة السلف وأصاب فقد أخطأ ، لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله ، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه " . ( [[42]](#footnote-41) )

قلت : وفي كلام الماوردي نظر.

**2 / أنواع التفســــــــير**

ما ينبغي أن يكون معلوما بالضرورة أن هناك فارقا كبيرا ودقيقا بين المنهج التفسيري الأصولي العام الذي رسمه النبي صلى الله عليه وسلّم وبين أساليب المفسرين الخاصّة بهم بحيث لا يشكّل اتخاذ كلّ مفسّر لنفسه أسلوب خاص به قد تلون به تفسيره خروجا عن المسار الصحيح ما دام ملتزما بضوابط ذلك المنهج الأصولي العام .

وهذه قضية قلّما التفت إليها أحد من العلماء إلا القليل منهم كابن تيمية والزركشي وفي المحدثين أمين الخولي والذهبي وصلاح الخالدي في كتابه القيم - التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق - حيث يقول فيه ( يجب أن نفرّق بين مدارس التفسير وتيّاراته وبين أنواع التفسير فمدارس التفسير هي مناهج المفسرين في تفسيرهم لكتاب الله تعالى أما أنواع التفسير فهي الخطط والتفصيلات والأساليب التي عرض المفسرون تفاسيرهم من خلالها وطبّقوا مناهجهم عليها .

ويقسّم الخالدي التفسير على أربعة أقسام : هي باختصار ، التفسير الإجمالي ، والتحليلي ، والمقارن ، والتفسير الموضوعي . وسنتحدث عن كل نوع من هذه الأنواع فيما بعد عرض أنواع التفسير عموما وبيان ألوان كل منها والتي نراها كما يلي :

1/ التفسير بالمأثور : نقلي منضبط / نقلي غير منضبط

2/ التفسير بالرأي : منضبط ـ محمود / غير منضبط ـ مذموم \_

3/ التفسير الموضوعي : فقهي ـ فلسفي ـ لغوي ـ تأريخي .. الخ .

4/ التفسير التحليلي : بياني / بلاغي ـ إعجازي

5/ التفسير الإجمالي : شمولي وتفسير الكلمات بمطلق اللغة اختصارا .

6/ التفسير المقارن : موازنة بين التفاسير المتماثلة

7/ التفسير الباطني : إلحادي / صوفي : الفيضي ـ الإشاري

وعليه فسيكون موضوع حديثنا على نوعين من هذه الأنواع فيما يخصّ دراستنا المقارنة هذه هما :

1/ التفسير المأثور بلونيه المنضبط والغير منضبط .

2/ التفسير الباطني بلونه الصوفي الإشاري .

**1/ التفسير بالمأثور :**

يقول الذهبي :" يشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته . وما نقل عن الرسول  وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم " . ويعلل الذهبي بإضافة ما روي عن التابعين على الرغم مما ـ جاء الخلاف فيه ـ بسبب وروده في بعض كتب التفسير كالطبري مثلا.

والذي يهمّنا هنا أن نعرف ما هي الضوابط الأصولية التي يكون فيها التفسير النقلي منضبط أم غير منضبط . وعليه فيمكن القول بأن التفسير النقلي ـ المأثورـ ينقسم إلى قسمين :

أ / ـ التفسير النقلي المنضبط وفق الضوابط الأصولية التي رسمها النبي .

ب / ـ التفسير النقلي غير المنضبط بالضوابط الأصولية .

**أ ـ التفسير النقلي المنضبط وفق الضوابط الأصولية التي رسمها النبي :**

هي

1/ الرجوع إلى القرآن في الخطوة الأولى .

2/ الإعتماد على ما ورد في السنّة الصحيحة من تفسير النبي  للقرآن

3/ ما اتفق عليه الصحابة  وما صح عند التابعين من روايات مأثورة صحيحة في السند والمتن .

4/ الرجوع إلى لغة العرب وقت نزول القرآن . والرجوع إلى القراءات القرآنية المتواترة.

**ب ـ التفسير النقلي غير المنضبط بالضوابط الأصولية سماته :**

1 / عدم الرجوع إلى القرآن في محاولة فهم الآية .

2 / عدم الإعتماد على الروايات الصحيحة وما أجمع عليه الصحابة

3 / الرجوع إلى مطلق اللغة في فهم الآية .

4 / الإعتماد بالدرجة الأولى على الروايات الإسرائيلية التي انتشرت في أواخر عهد الصحابة وعصر التابعين .وتابعي التابعين .

وبعبارة أخرى أن الملتزم والمنضبط بهذه الأصول قد جمع في تفسيره بين فني الرواية والدراية بينما الغير منضبط قد ضيّع الطريقين فلا هو التزم بفن الرواية فأعطاه حقه من حيث أنه اعتمد القرآن في أول خطوة ابتغاء التفسير ، ولا حصر استدلالاته فيما صحّ من روايات سواء من أحاديث  أم من أقوال الصحابة التي هي بحكم المرفوع إلى النبي  أو بما ثبتت صحة روايته من روايات التابعين و من الرجوع إلى لغة القرآن رجوعا دقيقا من خلال العالِِمين بها أو الناقلين لمعناها من خلال كلام وأشعار العرب بحيث استنبط المعنى من كلّ هذه المصادر .

ولا هو اعتمد فن الدراية في تفسيره الإعتماد الصحيح بحيث أنه استند إلى أسباب النزول ومعرفة التاريخ الصحيح الذي تنسب إليه الأحداث ولا الناسخ من المنسوخ والقراءات القرآنية ودلالات الإعجاز في النص القرآني بلاغة وإخبارا فيصل إلى المراد عن هذا الطريق فضلاً عما ورد من آثار صحيحة وإنما كلّ ما هداه اليه اجتهاده هو إهمال مثيلات النص في الآيات القرآنية وعدم التحقق من دقة التعبير في لغة العرب والاعتماد على ما ورد من روايات إسرائيلية تلقفها من أهل الكتاب فحمل النص والتفسير عليها .

ولعلّ هذا ما دعا الشوكاني في أن يكون تفسيره في فني الرواية والدراية موحدا وجامعا بينهما بغية الوصول إلى مفهوم تام للمعنى الجم . فهو ولا شكّ حين رأى هذا التفريق عند المفسرين كما بين ذلك في مقدمة تفسيره حيث قال :" إن غالب المفسرين تفرقوا فريقين ، وسلكوا طريقين :

**الفريق الأول :** اقتصروا في تفاسيرهم على مجرد الرواية ، وقنعوا برفع هذه الراية .

**والفريق الآخر:** جرّدوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية ، وما تفيده العلوم الآلية ، ولم يرفعوا للرواية رأسا ،

وإن جاؤوا بما لم يصححوا لها أساسا" . ( [[43]](#footnote-42) )

والتفسيران اللذان هما موضوع الدراسة " الآلوسي والشوكاني " فإن كلا تفسيريهما كان تفسيرا بالمأثور المنضبط حيث اعتمدا المنهج النبوي في التفسير الأصولي ، فكان الرجوع منهما إلى القرآن كخطوة أولى في بيان معنى اللفظ أو المراد من النص من خلال النظر إلى مثيلاته من الآيات الواردة في غير موضع ، ومن ثم الاستشهاد بما ورد من روايات عن النبي صلى الله عليه وسلّم أو عن الصحابة ـ وإن كان البعض منها ضعيفا أو من الإسرائيليات وقد ينبّه إليها أو يُهمل التنبيه عنها ـ وقد يشار إلى المعنى من خلال الرجوع إلى لغة العرب في استشهاداتهم بأقوال علماء اللغة كأبي حيّان والزجّاج والراغب في مفرداته وقد تأتي الشواهد الشعرية مؤيدة لذلك أو يوردون مباحث لغوّية ونحوّية للتأكيد على المعنى المقصود ، ولا يبخلون بعد ذلك ببيان المسائل البلاغية والإعجازية التي تزيد المعنى وضوحا وجلالا . فكانت هذه الخطوات على وفق المنهج الأصولي للتفسير . \_

**2/ التفسير بالرأي :**

إن أول ما يتبادر إلى الذهن حين يطلق مصطلح التفسير بالرأي انه ذلك التفسير الذي يقوله صاحبه بلا علم ولا هدى ولا رجوع إلى أصل من ضوابط التفسير وهذا غير صحيح وليس كله خطأ .

فإن العلماء حين وضعوا تعريفا لنوع من أنواع التفسير وهو التفسير بالرأي أرادوا بذلك أهمية ودور العقل في البحث واستنباط المعنى من النص القرآني حين لا يرد فيه دليل على معناه من القرآن ولا من السنة فيقف المفسر وأمامه طريقان إما أن يفسر القرآن برأيه وإما أن يشمر عن ساعد الجد في البحث والدراسة والتقصي والاستنتاج .

فعن الأول يقول شيخ الإسلام ابن تيمّية رحمه الله :" فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام . حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، حدثنا عبد الأعلى عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ،قال : قال رسول الله  :{ من قال في القرآن بغير علم فاليتبوأ مقعده من النار } . وقد ورد هذا الحديث من طريق آخر قد أخرجهما الطبري وقال عنه الترمذي حديث حسن صحيح . ( [[44]](#footnote-43) )

وقد روي عن جندب ، قال قال رسول الله  :{ من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ } قال عنه الترمذي غريب .( [[45]](#footnote-44) )

وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسّروا القرآن ، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم .( [[46]](#footnote-45) )

بينما نجد أن كثيراً من العلماء قد أجازوا التفسير بالرأي ما دام لا يخرج عن الضوابط والأصول التفسيرية وما لا بد لإعمال العقل والإجتهاد في فهم النص وإدراكه ، ويفهم هذا من كلام الراغب في إجازة الخوض في القرآن لكلّ أحد ، وكذلك الغزالي في الإحياء كما أورد ذلك أبو حيان في البحر المحيط ( [[47]](#footnote-46) )

إذ يقول بعد الاحتجاج والاستدلال على بطلان القول بألا يتكلّم أحد في القرآن إلا بما يسمعه فيقول : " فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكلّ واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحدّ عقله " .

كما قال قبل ذلك :

" إن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وإن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه " .( [[48]](#footnote-47) )

ولقد قسم العلماء هذا اللون من التفسير إلى نوعين :

**الأول :** التفسير بالرأي الممدوح .

**الثاني :** التفسير بالرأي المذموم .

فالأول ما كان على وفق الضوابط التفسيرية التي ذكرناها آنفا بحيث أنه لا يخرج عنها فإن نظر في القرآن فوجد المعنى وإلا فينظر في السنّة وأقوال الصحابة أو التابعين فإن لم يجد يجتهد ولا يقصّر دراسة للفظ الوارد في العربية وإنما التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من فحوى الشرع . مستعينا بغير ذلك من هذه الأصول والقواعد إلى مبتغاه . وكذلك القرائن التي تعين على فهم النص بشرط أن لا يكون على حساب معنى آخر أو دلالة أخرى.

أما التفسير بالرأي المذموم فهو ما خالف هذه الأصول وتلك القواعد فكان

فيه : 1/ التهجم على بيان مراد الله تعالى بغير علم .

2/ الخوض بما استأثر الله بعلمه .

3/ السير مع الهوى .

4/ التفسير المقرر للمذاهب الفاسدة .

5/ القطع بأنه مراد الله من غير دليل . ( [[49]](#footnote-48) )

يقول جولد تسيهر : " لم تأتي القرائن لتقرن النص الإلهي باستنباطات نظرية فلسفية ولا ليضرب بعضه ببعض بل يعوّل هنا على كلمة القرآن .

] **وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره** [ الأنعام / 68 .

وإلى مثل ذلك يرجع فيما يبدوا ما روي على أنه حديث للرسول  يخشى فيه على مستقبل أمّته من ثلاث منها{ ظهور رجال يتأولون القرآن على غير تأويله }( [[50]](#footnote-49) ) .

وإذا قيل إن السلف من أئمة الإسلام الراسخين كانوا يعرضون عن ذلك التفسير كارهين أن يقولوا فيه ما لا يعلمون فإن موضوع هذا الرفض الشديد هو هذا الإتجاه على وجه الخصوص ، فإن القرآن لا يجوز تفسيره بالرأي أي التفكير الذاتي ولا بالهوى ، أي الميل الاختياري وإنما الطريقة الصائبة الفذة في تفسير الكتاب الحكيم هي التفسير بعلم .

وقد نسب إلى أبي بكر الصدّيق هذا الأثر " أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم " . ( [[51]](#footnote-50) )

ولكن الإسراف في القول بالرأي والاعتماد على العقل ـ كما يفعل المعتزلة ـ جعل ابن القيّم يقول عن تفسير المعتزلة للقرآن أنه :

" زبالة الأذهان ، ونخالة الأفكار وعفارة الآراء ووساوس الصدور ، فملئوا به الأوراق سوادا والقلوب شكوكا والعالم فسادا ، وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي والهوى على العقل .( [[52]](#footnote-51) )

وقضية تحكيم العقل والاعتماد عليه في فهم النصوص إنما جاء ـ باعتقادي ـ كرد فعل لما يذهب اليه السلفيون في منهجهم في التعامل مع النصوص وتفسيرهم لها ، فمثلا في قوله تعالى :

] **وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ عليكم ميثاقكم إن كنتم مؤمنين** [ الحديد / 8 .

وقوله ] **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا** [ الأعراف / 172 .

فالسلفيون يقولون إن الميثاق قد أخذ فعلا فالله سبحانه وتعالى أخرج بعد

خلق الإنسان كلّ الأجيال المستقبلة من ظهر آدم وأخذ عليهم ميثاقا بالاعتراف بالله ، ولكن المعتزلة لا يقبلون هذا التفسير ويقولون إن الكلام من باب التمثيل والتخييل ، وإن الله نصّب الأدلّة للناس تدلّ على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بذلك عقولهم وبصائرهم فكان هذا أخذا للشهادة ، ويقولون : إن هذا ما يوافق العقل ". ( [[53]](#footnote-52) )

**3/ التفسير الإجمالي :**

وهو تفسير يقوم على الإجمال والإيجاز والاختصار حيث يقوم المفسر بتفسير القرآن كلّه بصورة مجملة . باختصار في النقل والاستشهاد بمطلق اللغة دون النظر والتحقيق في الآية ودراستها .

منها: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي .

وصفوة البيان لمعاني القرآن لحسنين مخلوف .

وتفسير الكريم المنان لعبد الرحمن السعدي .

**4/ التفسير التحليلي :**

يقف المفسّر أمام كلّ آية ويحللّها تحليلا موسعا مفصّلا عن كلّ المواضيع التي تشملها السورة من عقيدة ولغة ونحو وبلاغة .

ولقد عرفه الأستاذ بسام الشويكي :" وهو عبارة عن تحليل آيات القرآن الكريم لغة وإعرابا وبلاغة وصرفا مع دراسة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات وما إلى ذلك من دراسة تحليلية للنصوص القرآنية وعدد أنواعا منه كالتفسير المأثور والتفسير بالرأي وضرب أمثلة للأول بجامع البيان والدر المنثور والمحرر الوجيز وضرب للثاني بمفاتح الغيب للرازي وأنوار التنزيل للبيضاوي والبحر المحيط لأبي حيان .( [[54]](#footnote-53) )

وهناك تفاسير تتميّز بتفصيل أكثر كابن كثير وابن عطيّة وأبي السعود . دراسة بيانية أو لغوية و علمية وغيرها .

**5/ التفسير المقارن :**

حيث يقوم الباحث من خلاله بإجراء مقارنات بين عدد من المفسرين على اختلاف مناهجهم حيث يجمع بين تفسيرهم لسورة أو مجموعة آيات أو موضوع من الموضوعات ليتعرّف على منهج كلّ مفسّر وطريقته في تناول موضوعه ومدى التزامه بمنهجه وسيره على خطوات طريقته ، ثمّ يقارن بينه وبين المفسرين الآخرين ثمّ يعرض عمل هؤلاء المفسرين على الميزان الصحيح في تحديد أحسن طرق التفسير . وعليه فقد نقارن بين الزمخشري والرازي أو بين ألقمي والبيضاوي كما نقارن بين الآلوسي والشوكاني .

**6/ التفسير الموضوعي :**

عرّفه بعضهم أنه علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر .وعرّفه بعضهم جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلّقة بالموضوع ، والموضوعي نسبة إلى الموضوع ، والموضوع مشتق من الوضع ، والوضع جعل الشيء في مكان ما سواء كان ماديا حسيا أو معنويا ، ومصطلح التفسير الموضوعي مصطلح معاصر استخدمه المفسرون والباحثون وأطلقوه على الأبحاث والدراسات التي تتناول موضوعا من موضوعات القرآن.( [[55]](#footnote-54) )

ومن أنواع التفسير الموضوعي ـ تفسير المبهمات في القرآن الكريم يقول عنه صاحب قصة التفسير : " وهناك نوع من التفسير له قيمته وهو تبيين المبهمات الواردة في القرآن مما يتعلّق بالأشخاص أو الأماكن مثل قوله تعالى :

] **على رجل من القريتين عظيم** [ الزخرف/31 .

و ] **شهد شاهد من بني إسرائيل على مثله** [ الأحقاف / 10 .

و ] **وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى** [ يس / 20 .

وقد ألف عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأندلسي كتابه " التعريف والأعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام " .

وكذلك ألّف السيوطي كتابه " الأقران في مبهمات القرآن " .

ولكن يجب أن نحترس احتراسا شديدا في هذا المقام لأن تعيين هذه المبهمات إنما يكون بالنص المنقول الذي صحت نسبته وصحت روايته وما سوى ذلك يكون رجما بالغيب . أو قولا على الله بغير علم ، أو تحديداً لما لم يحدده الله دون أن يكون مع محدد دليل أو برهان . وابن كثير يشير في تفسيره إلى أن أغلب مواطن التحديد للمبهمات في القرآن قد جاء عن طريق الإسرائيليات ، ويوصي بالحذر والاحتراس من هذا الباب فيورد عبارة مبسوطة يقول فيها :

" ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للإعتضاد ، فإنها على ثلاثة أقسام :

**أحدها** : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذلك صحيح.

**والثاني :** ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه ،

**والثالث :** ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم . وغالب ذلك لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيراً ، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعددهم \_ وعصى موسى من أي الشجر كانت وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم \_ إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن ، مما لا فائدة في تعينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم .( [[56]](#footnote-55) )

**7/ التفسير الباطني : 1/ إلحادي . 2/ صوفي .**

**الصوفي والإشاري :**

**إ**ن من أعسر ما يواجه الكاتب عن التصوف إيجاد أصل لهذه الكلمة كاصطلاح علمي يطلق على مذهب انتحله جماعة لهم بالغ الأثر في الفكر الإسلامي .( [[57]](#footnote-56) )

ولقد حاول الصوفية منذ أقدم عصورهم أن يجدوا لمبادئهم وتعاليمهم مستندا خلال النصوص القرآنية وأن يأخذوا من القرآن عمدة في تأييد خطتهم وطريقتهم والصوفية يرون أن النص القرآني تحتجب وراء دلالته اللفظية أفكار عميقة ومعان دقيقة ويرون أن المعنى الحقيقي للتنزيل الإلهي لا يتناهى عند هذه البسائط البادية من ظاهره وإن هناك معنى ظاهرا ومعنى باطن وأن الأهم هو المعنى الباطن ولذلك يقول ناصر الدين خسرو :

" تفسير النص الظاهر هو بدن العقيدة بيد أن التفسير الأعمق يحلّ محلّ الروح وأين يحيى بدن بلا روح " !. ( [[58]](#footnote-57) )

يقول صاحب قصة التفسير " وقد ذهب البعض إلى أن القرآن له ظاهر وباطن ويقصدون بالظاهر المفهوم العربي المستطاع ، والباطن مراد الله تعالى من كلامه ، مثل قوله تعالى : ] **اليوم أكملت لكم دينكم** [ المائدة / 3. فهموها أن الله أكمل لعباده الدين ولكن أبا بكر بكى حين سمعها وقال :" ما بعد الكمال إلا النقصان " ففهم منها نعي النبي  ولم يعش النبي بعدها إلا واحدا وثمانين يوما " . ( [[59]](#footnote-58) )

وذهب الشاطبي إلى أن كلّ ما كان من المعاني العربية التي لا ينبني فهم القرآن إلا عليها كالمسائل البيانية والمنازع البلاغية فهو داخل تحت الظاهر ، وكلّ ما كان من المعاني التي تقتضي تحقيق المخاطب بوصف العبوديّة والإقرار لله تعالى بالربوبية فذلك هو الباطن المراد والمقصود الذي أنزل الله القرآن من أجله . ( [[60]](#footnote-59) )

ويضيف : وكل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء لأن القرآن عربي نفهمه كما نفهم كلام العرب فهو ] **بلسان عربي مبين** [ .

* / وإذا لم نقرر هذا ونؤكده جاء الخلل في التفسير فيزعم من يسمّى ـ بيان بن سمعان ـ أنه يسمى في القرآن في قوله تعالى : **]هذا بيان للناس [** عمران/138 .
* ومن تسمّى بالكسف ثمّ زعم أنه مذكور في القرآن في قوله تعالى :

] **وإن يروا كسفا من السماء ساقطا** [ الطور/ 44.

* وكما حدث من عبيد الله الشيعي حين اتخذ صاحبين أحدهما أسمه نصر الله والآخر أسمه الفتح وكان يقول إنهما المذكورين في قوله تعالى :

] **إذا جاء نصر الله والفتح** [ النصر / 1 .

ويقرر الشاطبي أنه " يشترط في تحديد الباطن وهو المراد من الخطاب ـ أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في اللسان العربي ، وأن يكون له شاهد يشهد بصحته من غير معارض ، لأنه بدون هذا يكون دعوى بلا دليل ، وإذا توافر بقدر اجتهادهم و إخلاصهم ، ويبقى بعد ذلك علم الله القوي الأعلى ، لآن القرآن جمّ الدلالات كثير المدارك حتى قال بعض السلف :

" إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها " .

قلت : ورحم الله ابن مسعود إذ كان يقول من أراد علم الأولين والآخرين فاليثوّر القرآن " . ( [[61]](#footnote-60) )

والصوفية يقولون بعلم " الإشارة " وهو علم ما في القرآن العظيم من أسرار عن طريق العلم به ويسمون هذا " مذهب أهل الصفوة " في المستنبطات الصحيحة في فهم القرآن ولذلك يقول أبو نصر السرّاج الطوسي في كتابه " اللمع " : " المستنبطات : ما استنبط أهل الفهم من المتحققين بالموافقة لكتاب الله عز وجل ، ظاهرا وباطنا والمتابعة لرسول الله ظاهرا وباطنا والعمل بها بظواهرهم وبواطنهم ، فلما عملوا بما علموا من ذلك ورّثهم الله تعالى علم ما لم يعلمون وهو علم الإشارة وعلم مواريث الأعمال التي يكشف الله تعالى لقلوب أصفيائه من المعاني المدخرة واللطائف والأسرار المخزونة وغرائب العلوم وطرائف الحكم في معاني القرآن ومعاني أخبار رسول  من حيث أقوالهم وأوقاتهم وصفاء أفكارهم . وقال الله تعالى :

] **أفلا يتدبرون القرآن ن أم على قلوب أقفالها** [ محمد/ 24. وقال النبي  { من عمل بما يعلم ورّثه الله علم ما لم يعلم }( [[62]](#footnote-61) ). وهو العلم الذي ليس لغيرهم من أهل العلم . وأعتقد أن هذه قضية من الأهميّة بمكان فالقرآن لم يكن لينحجب وحيه عن أحد إذا أقبل عليه بصدق وإخلاص وقصد التعلّم والفهم والإدراك على وفق المنهج المرسوم والله تعالى يقول:

]**إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلّكم تعقلون**[ يوسف / 3 .

ولم يقل لعلّكم تقرؤون فليس المطلوب هي القراءة لذاتها بدون فهم لها ولا عقل وإنما عقل الكلام متضمن لفهمه وقراءته متضمنة لعقله ، والله تعالى يقول :

] **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه** [ طه/ 114.

وقال بعدها ] **وقل ربي زدني علما** [ فلو لم يكن في القرآن وحي يمكن أن يقضى إلى من يقرأ لما أمر الله أن يتأنّى الإنسان في القراءة ويتدبّر وإلا

] **أم على قلوب أقفالها** [ محمد/ 24 .

وفي ذلك يقول الراغب : " إن عامة المتكلّمين ذهبوا إلى أن كلّ القرآن يجب أن يكون معلوما ، أي مفهوم المعنى ، أي مستطاع التفسير ، وإلا أدى عكس ذلك إلى بطلان فائدة الإنتفاع به ،وأن لا معنى لإنزاله وحملوا قوله تعالى في سورة عمران ] **وما يعلم تأويله إلا الله** [ عمران/ 7 . وجعلوا قوله تعالى ] **يقولون آمنا به** [ في موضع الحال فيكون معنى الآية أنه لا يعلم تأويله إلا الله وإلا الراسخون في العلم ، وحالهم أنهم يقولون آمنا به وبأنه من عند الله ، ويفيد هذا أن القرآن كلّه ممكن التفسير لهؤلاء العلماء .

أما عامّة أعيان الصحابة وكثير من المفسرين بعدهم فقد ذهبوا إلى أنه يصح أن يكون في القرآن بعض ما لا يعلم تأويله إلا الله ، وقال ابن عباس " أنزل القرآن على أربعة أوجه : وجه حلال وحرام لا يسع أحدا جهالته ، ووجه يعرفه العرب ، ووجه تأويله يعلمه العالمون ، ووجه لا يعلم تأويله إلا الله ، ومن انتحل فيه علما فقد كذب". ( [[63]](#footnote-62) )

وعليه فإن النبي  " لم يترك أمته حتى فهمت من كتاب الله تعالى ما تحتاج إلى فهمه وبيانه من أصول الدين وقواعده وتشريعاته ..

يقول الطبري : " فأما ما لا بدّ للعباد من علم تأويله فقد بين لهم نبيهم  ببيان الله ذلك له ، بوحيه مع جبريل وذلك هو المعنى الذي أمره الله ببيانه لهم فقال جلّ ذكره :

**] وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلّهم يتفكرون ]** النحل/ 44 .

والله لم يقبض نبيّه إليه إلا بعد إكمال الدين به لعباده ، وعلّمه بأن لله في كلّ نازلة وحادثة حكما موجودا بنص أو دلالة " .( [[64]](#footnote-63) )

وقد روي في الخبر : { أن رجلا جاء إلى رسول الله  فقال يارسول الله علمني من غرائب العلم فقال النبي : وما عملت في أول العلم ؟ أحكم أول العلم ثمّ تعال حتى أعلمك غرائب العلم . أو كما قال } .( [[65]](#footnote-64) )

والصوفية أيضا يقولون بأن تحت كلّ حرف من حروف القرآن كثيرا من الفهم ، وهو مذخور لأهله على قدر ما قسم لهم من ذلك ، ويستدلون على ذلك بقول الله تعالى : **] وكل شيء أحصيناه في إمام مبين[** يس/ 12. وقوله :

] **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم** [ الحجر/21.

وقالوا إن معنى ] **من شيء** [ من شيء من علم الدين وعلم الأحوال التي بين الخلق وبين الله تعالى وغير ذلك وإنما يصل الإنسان إلى ذلك إذا تدبّر في القرآن وتفكّر وتيقظ وأحظر قلبه عند تلاوته لأن الله تعالى يقول :

] **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكر ألوا الألباب** [النحل/44.( [[66]](#footnote-65) )

ويقول صاحب الجواهر : " وعني جماعة من المفسرين بالتصوف ولم يخلو تفسيرهم من غلّو مجانب للحق خصوصا عندما تحول التصوف من علم يعنى بتربية الضمير وتهذيب النفس والزهد في الدنيا والترغيب فيما عند الله ، إلى علم أشبه بالفلسفات العقيمة التي لا تحلّ مشكلة ولا تصلح فسادا في النفس .

وقد اختلط التصوف بالآراء الباطنية كما يظهر أثر ذلك واضحا في التفسير الذي ينسب إلى محي الدين ابن عربي . وذكر السيد محمد رشيد رضا أن نسبته الصحيحة إلى القاشاني الباطني الكبير .

يقول جولد تسيهر : " تفسير القرآن عن طريق التأويل الصوفي يبلغ من القدم ما يبلغه التصوف نفسه ، فقبل الإقدام على تفسير القرآن بطريق التصوف في مجموعة كبيرة من السياق المتصل المرتب ترتيبا منهجيا واستقرّت في الدوائر المعنية بتصيد المذاهب الباطنية عقيدة أهل القرآن يحتوي في طياته على أكثر مما يعلمه قالبه الظاهر ، وأن الحقائق المخصصة فيه للعلماء تحلّق في مستوى رفيع على أسلوب النظر الديني لعامّة المسلمين " . ( [[67]](#footnote-66) )

ويقول صاحب كتاب علوم القرآن في هذا الشأن :

" وتفاسير الفرق الإسلامية المختلفة ترجع في الحقيقة إلى التفسير بالرأي غير أنها تدخل في النوع المذموم منه لأن أصحابها لم يؤلفوها إلا لتأييد أهوائهم ، أو الانتصار لمذاويقهم ومواجيدهم ، من ذلك تفاسير المعتزلة والمتصوفة والباطنية . ... ويغلب على تفاسير المتصوفة الشطحات التي تبعدهم عن النسق القرآني وتجعل كلامهم غامضا إلا على المشتغل بالشؤون الروحية الذي تعلّم أساليب المتصوفة ومرن عليها . وأشهر التفاسير التي من هذا النوع التفسير المنسوب إلى الشيخ محي الدين ابن عربي م/ 638 هـ وإن كان كثير من العلماء لا يصححون نسبته إليه . ( [[68]](#footnote-67) )

**حجة أصحاب التفسير الباطني الصوفي الإشاري :**

لقد ورد عن النبي  أنه قال : ٍ

{ ما نزل من القرآن من آية إلا ولها ظهر وبطن ولكلّ حرف حدّ ولكلّ حدّ مطلع } ( [[69]](#footnote-68) ) .

قال الزركشي : قلت أما قوله " ظهر وبطن " ففي تأويله أربعة أقوال :

**أحدها :** وهو قول الحسن ، إنك إذا بحثت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقعت

على معناها .

**الثاني :** قول أبي عبيدة أن القصص ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين ، وباطنها عظة للآخرين .

**الثالث :** قول ابن مسعود t : أنه ما من آية إلا عمل بها قوم ولها قوم سيعملون بها .

**الرابع :** قاله بعض المتأخرين إن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها . وقول أبي عبيدة أقربها .

وأما قوله " ولكل حرف حدّ " ففيه تأويلان :

**أحدهما /** لكلّ حرف منتهى فيما أراد الله من معناه .

**الثاني /** معناه أن لكلّ حكم مقدار من الثواب والعقاب .

وأما قوله : " لكلّ حدّ مطلع " فيه قولان

**أحدهما /** لكلّ غامض من المعاني والأحكام مطلع يتوصل على معرفته ويوقف على المراد به .

**الثاني /** لكلّ ما يستحقه من الثواب والعقاب مطّلع يطلع عليه في الآخرة ويراه

عند المجازاة . ( [[70]](#footnote-69) )

يقول صاحب الجواهر:

" وقد خلط جماعة من المفسرين بين التفسير بالمأثور والتفسير الصوفي كما نجد ذلك واضحا في روح المعاني للعلاّمة الآلوسي ، فبعد أن يورد أقوال السلف يتبعها بما ينسب إلى السادة الصوفية من رموز يكاد لا يفهم لها معنى ، وكأنه يرى أن للقرآن باطنا وظاهرا وهذا موضوع قد أطال فيه العلاّمة الشاطبي ، ومع انتقاده لهذا المسلك من التفسير حاول أن يبرره أو يبرر أكثره .

ويضيف الخليلي : " أن القرآن الكريم كتاب أنزله الله محكما ليكون هدى للمتقين وذكرى للعالمين ولن يكون كذلك إلا إذا كان بعبارات يفهمها الناس ، أما أن يكون القرآن لغزا من الألغاز المعمّاه فإنه وإن كان هداية فلن تكون في هذه الحالة عامة للناس ، لذلك لا أرى وجها يبرر تفسير القرآن بالرموز الصوفية ، ومن تأمّل وصف الله تعالى لكتابه في قوله تعالى :

] **وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين**[ الشعراء /192. أدرك أن القرآن الكريم خال من هذه المصطلحات المعقّدة التي لم تكن معهودة عند العرب . ( [[71]](#footnote-70) )

ويقول الإمام الغزالي الذي لا يمنع من تفسير القرآن تفسيرا صوفيا وإن كان يعارض التوسع فيه إلى حدّ الاعتماد على الرموز والإشارات ، يفسر قوله تعالى : ] **فاخلع نعليك** [ طه/ 12. بقوله : " من يريد إدراك الوحدانية الحقيقية يجب عليه أن يطرح عن نفسه التفكير في الحياتين الدنيا والآخرة " أي يقبل على الله دون غرض وكل ما يفكّر فيه هو رضا الله ومحبته .

ويعقّب الغزالي على هذا التفسير بقوله : " لا تظن من هذا الإنموذج وطريق ضرب ألأمثال رخصة مني في رفع الظواهر، واعتقادا في إبطالها حتى أقول مثلا : لم يكن مع موسى نعلان ، ولم يسمع الخطاب بقوله ] **اخلع نعليك** [ حاشا لله فإن إبطال الظاهر رأي الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء إلى أحد العالمين ، وجهلوا جهلا بالموازنة بينهما فلم يفهموا وجهه ، كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشوية ، فالذي يجرّد الظاهر حشوي ، والذي يحرر الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل ، بل أقول موسى فهم من الأمر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الأمر ظاهراً بخلع النعلين ، وباطنا بخلع العالمين " ويقصد الغزالي بالعالمين عالم الدنيا وعالم الآخرة أي لم يفكر موسى في متاع الدنيا ، ولم يقصد ثواب الآخرة بل قصد وجه الله وحده .( [[72]](#footnote-71) )

ويضيف المؤلف : " وقد ينحرف بعضهم في التأويل الإستنباط حتى يضج الناس بهم كما حكي عن بعضهم حين سئل عن قوله تعالى :

] **وأيوب إذ نادى ربّه أني مسني الضر** [ الأنبياء/ 83. فقال معناه " ما ساءني الضر" وسئل بعضهم عن قوله تعالى : ]**ألم يجدك يتيما فآوى** [ الضحى/ 6 فقال : " معنى اليتيم مأخوذ من الدرّة اليتيمة التي لا يوجد مثلها " .

وأغرب أحدهم في القول أغرابا مسرفا حين قال : " إن القرآن يبدأ بالباء في قوله تعالى ] **بسم الله الرحمن الرحيم** [ وينتهي بالسين في قوله :

] **من الجنّة والناس** [ والحرفان يكوّنان كلمة " بسّ " بمعنى : كفى . أي أن هذا القرآن كاف لا يحتاج ألإنسان معه إلى غيره .

فهذا وأمثاله ـ كما يقول الطوسي ـ خطأ وبهتان على الله ، وهو تحريف للكلم عن مواضعه ، والصحيح من ذلك أن لا تقدم ما أخره الله ولا تؤخر ما قدّمه الله ، وأن لا تخرج في فهم القرآن عن مدلول الكلمات العربية ، لأن القرآن كتاب أنزل بلسان عربي مبين " . ( [[73]](#footnote-72) )

وهناك من يؤيد التفسير الصوفي ويدافع عنه ، فالتفتازاني يقول : " أما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان " .

وابن عطاء السكندري يقول :" إن تفسير الصوفية ليس إحالة لظاهر عن إحالته ، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جبلت الآية له ودلّت عليه في عرف اللسان ، وهناك أفهام باطنه ، تفهم من الآية لمن فتح الله قلبه ، ولا يطعن في هذا أن يقال إن مثل هذا التفسير إحالة لكلام الله عن وجهه لأنه يكون إحالة لو قالوا : لا معنى للآية إلا هذا ، وهم لم يقولوا ذلك ، بل يقرون الظواهر على ظواهرها ، مرادا بها موضوعاتها ، ويفهمون من الله ما الله فهمهم ، وربما فهموا من اللفظ ضد ما قصده واضعه " .( [[74]](#footnote-73) )

ومن هذه الأقوال ما أثر عن الفضيل بن عياض ت /187ـ رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى  ليبلوكم أيّكم أحسن عملا  الملك / 2 . أي أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل والصواب أن يكون على السنّة والكتاب. ( [[75]](#footnote-74) )

ونجد كذلك الآلوسي في تفسيره يقول مؤيدا لما ذهب إليه ابن عطاء هذا يدلل على جواز التفسير الإشاري من خلال النظر في باطن الآية فيقول :" وفي البحر كان شيخنا أبو جعفر بن الزبير يحكي عن أبي الحكم بن برجان أنه استخرج من قوله تعالى :**] ألم ، غلبت الروم .... إلى ـ سنين [**  افتتاح المسلمين بيت المقدس معينا زمانه ويومه ، وكان إذ ذاك بيت المقدس قد غلبت عليه النصارى وإن ابن برجان مات قبل الوقت الذي عينه أبو الحكم ، وكان أبو جعفر يعتقد في أبي الحكم هذا أنه كان يتطلّع على أشياء من المغيبات يستخرجها من كتاب الله تعالى .

قال :واستخرج بعض العارفين كمحي الدين قدّس سرّه والعراقي وغيرهم المغيبات من القرآن العظيم أمر شهير وهو مبني على قواعد حسابية وأعمال حرفية لم يُرْوَ شيء منها عن سلف الأمة ولا حجر على فضل الله تعالى وكتاب الله تعالى فوق ما يخطر للبشر . وقد سئل علي كرّم الله وجهه : أسرّ إليكم رسول الله  شيئا كتمه عن غيركم فقال : لا إلا أن يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه هذا " . انتهى( [[76]](#footnote-75) )

وإذا كنا قد رأينا التفتا زاني وابن عطاء يدافعان هذا الدفاع عن التفسير الصوفي ، فإننا نجد كثيرين يهاجمون التفسير الصوفي ، فهذا هو السيوطي يقول في الإتقان : " أما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير ".

وقال ابن الصلاح في فتاويه : " وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال : صنّف أبو عبد الرحمن السلمي ( حقائق التفسير ، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر " .( [[77]](#footnote-76) )

قال ابن الصلاح : وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيء من ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة ، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية ، وإنما ذلك منهم لنظير ما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير ، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا مثل ذلك ، لما فيه من الإبهام والإلباس " .

والنسفي يقول في عقائده : " النصوص على ظاهرها ، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد " . وفي الجزء الثاني يقول الزركشي في البرهان عن تفسير الصوفية : " فأما كلام الصوفي في تفسير القرآن ، فقيل : ليس تفسيرا وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة .

كقول بعضهم في قوله تعالى : ] **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار** [التوبة/123. إن المراد النفس فأمرنا بقتال من يلينا ، لأنها أقرب شيء إلينا وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه " . ( [[78]](#footnote-77) )

ويقول أديب العصر الرافعي في إعجاز القرآن :

" أما المتصوفة ومن يتقلدون علم الباطن فلا حصر لمذهبهم وأقوالهم في تفسير القرآن ، وبخاصة المتأخرين منهم ، فإن لهم في ذلك المزاعم العريضة ، مما يخرج أن يكون من علم الناس ، فإلى الله أمرهم .( [[79]](#footnote-78) )

وقد ذكر الشيخ محي الدين ابن عربي في ( الفتوحات ) عند تفسير قوله تعالى : ] **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** [ يس /12. أن قوله أحصيناه يدلّ على أنه تعالى ما أودع فيه إلا علوما متناهية ، مع كونها خارجة عن الحصر لنا . قال وقد سألت بعض العلماء بالله تعالى : هل يصح لأحد حصر أمهات هذه العلوم ؟ فقال : نعم هي مائة ألف نوع ، وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم لا يعلمها إلا الله تعالى " .

وقد ألف بعض علماء القوم كتابا سمّاه " تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء " . كانت هذه القطرة فيه زهاء ثلاثة ألاف علم ، فتُرى ما عسى أن يكون هذا البحر ؟ اللهم إن السلامة في الساحل .

وقال أبو سعيد الخراز : " إذا كان العبد مجموعا على الله تعالى ، لا تنصرف منه جارحة إلى غير الله فعندها تقع له حقائق الفهم عند تلاوة كتاب الله الذي ليس مع الخلق " .

وقال أيضا : " كلما بدى حرف من ألأحرف من كتاب الله على قدر قربك وحضورك عنده فله مشرب وفهم غير مخرج الفهم الآخر ، وإذا سمعت بقوله **] ألم ، ذلك [** فللألف علم يظهر في الفهم غير ما يظهر اللام وعلى قدر المحبة ، وصفاء الفكر ووجود القرب يقع التفاوت في الفهم " .( [[80]](#footnote-79) )

وقد جاء في " اللمع " أن سهل بن عبد الله رحمه الله قال :

" لو أعطي العبد بكلّ حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى في آية من كتاب الله من الفهم ، لأنه كلام الله تعالى وصفته " التي لا تحدّها الحدود ولا يسعها كل الوجود ، وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لوصفه وإنما يفهمون على مقدار ما يفتح الله تعالى على قلوب أولياءه من فهم كلامه ، وكلام الله غير مخلوق فلا تبلغ إلى نهاية الفهم فيه فهوم الخلق ، لأنها محدثة مخلوقة . "

والصوفية يقررون ويكررون تقريرهم أن طريق الفهم الدقيق العميق للقرآن الكريم مفتاحه العمل بالقرآن ولذلك يقول أبو سعيد رحمه الله تعالى :

" أول الفهم لكتاب الله العمل به لأن فيه العلم والفهم والاستنباط ، وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة لقول الله :

] **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** [ قاف/37 .

كما يرى الصوفية أن الذين تنكشف لهم الخزائن المذخورة تحت كلّ آية بل تحت كلّ حرف في القرآن الكريم إنما هم الراسخون في العلم ، فيقول أبو بكر الو اسطي :

" الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب وفي سرّ السر ، فعرّفهم ما عرّفهم ، وأراد منهم من مقتضى الآيات ما لم يرد من غيرهم ، وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات ، فانكشف لهم من مذخور الخزائن ، والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النص ، فاستخرجوا الدّر والجواهر ونطقوا بالحكم " .( [[81]](#footnote-80) )

ويبالغ الطوسي في وصف هؤلاء الراسخين مبالغة ملحوظة فيقول :

" ومنهم من كانت البحار عنده كتفلة فيما شاهد من المستأثرات ، يعني مستأثرات العلم الذي استأثر الله تعالى به أنبياءه، وخصّ بذلك أولياءه وأصفياءه ، فغاص بسره عند صفاء ذكره وحضور قلبه في بحار الفهم فوقع على الجوهر العظيم ، وهو الذي علم مصادر الكلام من أين فوقع على العين ، فأغناهم عن البحث والطلب والتفتيش " . ( [[82]](#footnote-81) )

ويقول الذهبي عن حقيقة التفسير الفيضي أو الإشاري :

هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، والفرق بينها وبين التفسير الصوفي النظري من وجهين .

**أولا :** إن التفسير الصوفي النظري يبنى على مقدمات علميّة تنقدح في ذهن الصوفي أولا ثمّ ينزّل القرآن عليها بعد ذلك . أما التفسير الإشاري فلا يرتكزعلى مقدمات علميّة بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسيّة وتنهلّ على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية .

**ثانيا :** إن التفسير الصوفي النظري يرى صاحبه أنه كلّ ما تحتمله الآية من المعاني وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه ، وهذا بحسب طاقته طبعا .

أما التفسير الإشاري فلا يرى الصوفي أنه كل ما يراد من الآية بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ومراد منها أولا وقبل كلّ شيء ذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره . ( [[83]](#footnote-82) )

ويضيف الذهبي :" أن التصوف ينقسم إلى قسمين أساسيين.

**أولا ـ التصوف النظري** : وهو التصوف الذي يقوم على البحث والدراسة .

**ثانيا ــ التصوف العملي :** وهو التصوف الذي يقوم على التقشف والزهد والتفاني في طاعة الله . وكل من القسمين كان له أثره في تفسير القرآن الكريم مما جعل التفسير الصوفي ينقسم أيضا إلى قسمين .

تفسير صوفي نظري . وتفسير صوفي فيضي أو إشاري . ( [[84]](#footnote-83) )

قلت : وعليه فنحن في دراستنا هذه أمام لونين من ألوان التفسير اصطبغ منهج الآلوسي بلون هو غير اللون الذي اصطبغ فيه منهج الإمام الشوكاني مع العلم أنهما ينتميان إلى مدرسة تفسيرية واحدة . مدرسة التفسير النقلي المنضبط وقد تخرّجا منها ولم يعرف أحدها الآخر .

#####

**المطلب الثاني**

**2/ نماذج من التفاسير الموازنة :**

1/ تتبين أهمية الدراسة الموازنة من خلال النتائج التي يصل إليها الباحث بعد دراسته لمقومات منهج كل مفسر ومصادره التي استقى منها واعتمد عليها في إخراج تفسيره من حيث النوع واللون . مع الأخذ بنظر الاعتبار المرحلة التفسيرية ـ إذا صحّ التعبير ـ التي صاحبت المفسر بحيث كان لها من التأثير المباشر وغير المباشر بمدى انضباطه بضوابط المنهج الأصولي الذي رسمه النبي صلى الله عليه وسلّم والذي انعكس بدوره على شخصية المفسّر سلبا كان أو إيجابا حتى ظهر بوضوح على تفسيره ـ نوعا ولونا ـ

إن الضغوط العقائدية والفكرية والنفسية وما كان يجري على الساحة لها من التأثير على شخصية كل مفسر بحيث نستطيع أن نرى بوضوح الصورة أو الحالة التي كان يعاصرها وينفعل بها كل مفسر لهذا القرآن الذي لا يمكن إلا أن ينفعل بهذا الواقع فيؤثر فيه ولا يتأثر به من حيث أنه الروح الذي أنزل أصلا لكي يحيى به الإنسان حياة تليق به في أحسن تقويم وصدق الله تعالى إذ يقول :

** إنا أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ** الشورى / 52 .

إن التقلبات السياسية والتيارات العقائدية والدوّامات الفكرية والتي كانت تؤثر حتما على صفاء الينابيع التفسيرية أو تكدّرها برواسب الأفكار الفلسفية التي ضيّعت الطاقات في مناقشات وجدالات ضاع فيها الخير حيران آسفا.

والانحرافات العقائدية التي أبعدت الإنسان عن الله فضلّ وشقى بعدما خلطت ومزجت الحق بالباطل فعبدت آلهة من دون الله شتى ، وجنوح العقل إلى خارج الحدود المسموح بها له فأقحِم فيما ليس من شأنه ولا مطالب به أصلا فضلّ وضاع .

وقعود بعض الأمة وتقوقعها في الزوايا والتكايا يطلب الوصال روحا ولا يقدم السعي إليه بذلا ومجاهدة وجهادا بينما الأعداء لم يدخروا وسعا في طلب الخير ولو لباطلهم .

كلّ هذه الأعاصير كان لها ـ دون شك ـ تأثير فعّال على شخصية المفسّر الفكرية والنفسّية بحيث كانت قد انعكست على منهجه في تفسيره بلون قد تميّز به أي في الفترة التي عاصرها .

فانظر إلى المفسّر الذي يتصف تفسيره بأنه تفسير فلسفي ستجد أن المجتمع آنذاك ـ أي في الفترة التي عاصرها ـ كان يتعرض لضغوطات الفكر الفلسفي على الأمة . وهو من الأمة وقد انفعل بهذه الضغوط ولا شك محاولا أن يجد المخرج من هذه الضغوط من خلال هذا القرآن الذي يشكل في عقيدة المؤمن نقطة انطلاق للسبيل  **التي هي أقوم**  الإسراء / 9 .

وكذلك حين تجد علامات جنوح العقل فيما ليس مساحته تجد أن الفكر الإعتزالي كان له تأثير في إعطاء العقل أكثر من حقه .

والقضية نفسها في اللون الصوفي فالقعود عن الحركة الإيجابية في تغيير الواقع جعل الإشارة في التفسير الصوفي سمة ولون قد تميز به ، وقل مثل ذلك في التفسير الباطني إلى غير ذلك من ألوان اصطبغت بها التفاسير .

ذكر الشيخ شلتوت أن هناك مظاهر اختلاف طرق التفسير فيقول عن الطريقة المثلى لتفسير القرآن الكريم : " لتفسير القرآن الكريم طريقتان إحداهما أن يسير المفسّر بتفسيره مع آيات الذكر الحكيم وسوره على الترتيب القرآني المعروف فيفسر القراء آت ويربط بين الآيات وبين المعاني التي تدلّ عليها وهذه هي الطريقة التي عهدها الناس منذ كان التفسير وكان المفسرون ، ومن مظاهرها اختلاف طرق التفسير باختلاف روح المفسرين فمن غلبت عليه روح العلوم البلاغيّة عني في تفسيره بالتطبيق على قواعدها ، ومن غلبت عليه روح النحو والصرف عني في تفسيره بإعراب الكلمات وتصريفها ، ومن غلبت عليه الروح التاريخية عني بالقصص والأخبار وربما أسرف فأدخل في التفسير كثيرا من الإسرائيليات دون تحقيق ولا تمحيص ومن غلبت عليه الروح الفلسفية حبب إليه البحث في الكائنات وعني في تفسيره بهذا الجانب ومن غلبت عليه روح الجدل الكلامي أو الفقهي تأثّر تفسيره بما غلب عليه وهكذا .

ويقرر الرافعي الأديب هذا الإتجاه فيقول : ومن هنا جاء ذلك الخطأ الذي يسمّونه صوابا ، على أنك واجد في القوم اليوم من لا تتهم في هذا ولا ذاك ولكنه مع ذلك يجيء فهمه خطأ لأنه لا يريد أن يجيء إلا هذا لمكان العصبية من نفسه لرأي على رأي أو شخص على شخص أو دين على دين مما لا يكون الشأن إلا للحسّ الباطن .

وعليه فإن تحديد المقومات الأساسية في منهج كل مفسر و بيان السمات العامة تكشف لنا مقومات شخصية المفسر نفسه والتأثيرات التي كان يعايشها وانعكاس ذلك على تفسيره .

ومن جهة أخرى فإن دراسة منهج المفسر والوقوف على المقومات الأساسية في تفسيره بغية الوصول إلى حدود التزامه بضوابط المنهج الأصولي التفسيري قواعدا وأصولا يتيح لنا رؤية واضحة عما في هذا التفسير من مادة علمية وفكرية نستطيع أن نفعّلّها تفعيلا بما يناسب حاجتنا في وقتنا لتربية الجيل على القواعد والأصول الصحيحة . وكذلك حماية هذا الجيل والأجيال التي تليه من كلّ ما ليس صحيحا أو ما يكون فيه تأثير سلبي على فهم هذا القرآن أو عدم التأثر به تأثرا إيجابيا في سبيل تربيته تربية إيمانية تؤهله وتجعله بمستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه وهو يقف عاجزا ـ ربما ـ أمام هذه التحدّيات التي لا يغفل أو ـ يتغافل ـ عنها إلا كلّ أحمق معتوه .

ومن خلال هذه الدراسة المقارنة نستطيع أن نُبين أو نَتبين مَنْ مِنَ المفسرين له الحق بوصف الأفضلية بحيث استحق ذلك عن علم غزير وموسوعي قائم على أساس متين من عقيدة صحيحة ثابتة وخشية من الله والتزام بالمنهج الصحيح الذي ورثه عن النبي صلى الله عليه وسلم في مهمة التبليغ والبيان من خلال تفسيره لهذا الكتاب العزيز . أم أنه متبع للهوى في تفسيره لكتاب الله تعالى ؟ وبغير قصد وإنما لأنه واقع تحت تأثير الواقع المعاش بكل التأثيرات العقائدية والفكرية . إن التفسير بالرأي كان ولا بدّ في أغلب الأحيان كردّ فعل للتفسير النقلي والمحصور بالمأثور

إن حصر النظر من زاوية واحدة لتفسير القرآن كزاوية التفسير النقلي أدى بالنتيجة إلى ظهور التفسير بالرأي إذ أن التفسير بالمأثور وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة حصرا كان منطلقه تقوى الله تعالى وخشية القول على الله بغير علم والتجرؤ على ذلك ومقولة أبي بكر الصديق تشهد بهذا ( أي أرض تقلني وأي سماء تضلني أن قلت في كتاب الله ما لا أعلم ). [[85]](#footnote-84) وامتناع بعض الصحابة من تفسير بعض الآيات خوفا من السؤال عنها بين يدي الله تعالى . وتجدد المتغيرات في الحياة العامة وظهور ملابسات وأوضاع لم تكن موجودة حين نزل القرآن وتم بيانه على يد النبي صلى الله عليه وسلم وعلماء الصحابة مما كانوا يحتاجون إليه في حياتهم العملية بحيث أن النبي صلى الله عليه وسلم ما تركهم يحتاجون إلى شيء دون أن يبين لهم مراد الله منهم.

وهذه الملابسات والأوضاع والمتغيرات الجديدة حين أراد العلماء وبعض المفسرين أن يجدوا لها تفسيرا من كتاب الله تعالى ولم يكن لها بيان خاص عن رسول الله صلى الله علي وسلم اضطروا إلى إعمال الفكر والإجتهاد في فهم النصوص واستنباط الأحكام منها عملا بتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم للأمة من خلال توجيهه لمعاذ أولا حين بعثه إلى اليمن ، وفهما للضوابط والأصول التي طالما أوحت بها المعطيات القرآنية ثانيا من خلال ضرب الأمثال والقصص والتقريرات الصريحة ليقول بعدها:

 **لعلهم يتفكرون ... لعلكم تعقلون ... قل سيروا في الأرض فانظروا... أفلا يتدبرون القرآن** ...  وغيرها مما يحرّك العقول والأفهام لتعي وتستنبط نشأ التفسير بالرأي إلا أن هذا الأمر كان منضبطا بالضوابط الشرعية والأصولية عند بعض علماء التفسير وغير منضبط عند البعض الآخر فكانوا قد خطوا خطوات مبتعدين عن المنهج الصحيح وتجرؤوا على القول في القرآن بغير علم ولا تثبّت وإنما اتباع للهوى بحيث وصف تفسيرهم بالرأي المذموم على حين كان منهج الذين فسّروا القرآن وفق الضوابط الأصولية قد وصف تفسيرهم بالمحمود أو الممدوح .

2/ إنه لا بد من معرفة قيمة وأهميّة الإنضباط بالقواعد والأصول التفسيرية لمنع وضع ـ أو زيادة ـ العقبات المتراكمة في الطريق أمام القلب والفكر تصدّه عن فهم كتاب الله تعالى .

فكم من تفسير للآية كان حجابا على فهمها وبيان معانيها فأصبحت الأمة تقرأ القرآن ولا تعي منه شيئا .

تماما كما أخبر النبي  بهذا في الحديث الشريف الذي يؤكد هذا المعنى حيث يقول  { يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يكفرون بالقرآن وهم لا يشعرون ـ وفي رواية ( يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ) يقول النبي صلى الله عليه وسلم وذلك عند ذهاب العلم ، فقال زياد بن لبيد : وكيف يضيع العلم يا رسول الله ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا وأبناؤنا يقرؤونه أبناءهم ؟ فقال له النبي  ثكِلتك أمّك يا زياد والله لقد كنت أظنّك من أفقه رجال المدينة كيف غاب عنك هذا أوليست هذه اليهود والنصارى تقرأ التوراة والإنجيل ولا تعي منها بشيء ؟ }. ( [[86]](#footnote-85) )

والسؤال الذي يلقي بنفسه على الذهن الواعي هل العلم بالقرآن اليوم أكثر أم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . ؟

وبتعبير آخر هل التفسير للقرآن اليوم أكثر أو في زمن النبي  . ؟

لا شكّ أنه اليوم أكثر وكثرة التفاسير اليوم تشهد بهذا إذا فكيف نفهم قول النبي  " وذلك عند ذهاب العلم " فكيف يذهب العلم وأين يضيع مع كل هذه التفاسير ؟ وهل خرج الذين يقرؤون القرآن دون أن يجاوز تراقيهم .( [[87]](#footnote-86) )

وهل مقصود النبي صلى الله عليه وسلم يعني أنهم يقرؤون القرآن فلا يجاوز تراقيهم إلى عقولهم فيفهمونه أم أنهم يقرؤونه فلا يجاوزها إلى قلوبهم فيتأثرون بوحيه وينفعلون به فيهديهم ويغير حياتهم أم أنّ كلا المعنيين هو الصحيح فهم يقرؤون القرآن فلا يفهمونه ولا يتأثرون به ـ كما أظن ذلك والله أعلم ـ وأن هذا هو الصحيح الكائن اليوم وقد أخبر عنه من أوتي جوامع الكلم ولا ينطق عن الهوى وإنما بوحي يوحى .صلوات ربي وسلامه عليه .

وربما بلغت الأمة هذه الحالة والتي باتت تقرأ القرآن كثيرا في مساجدها ومحافلها وإذاعاتها ـ بل وحتى في إذاعات عدوها ـ وتجوّده وتتفنن في قراءاته ولكن كل ذلك بمعزل عن أن ينظم شؤونها ويحكم حركة حياتها فهي في واد وكتابها في واد آخر تماما كما عند اليهود والنصارى يتلونه في صلواتهم والمعنى غائب وربما مغيّب . تجد هذا واضح لا يحتاج إلى جدال أو نقاش .

ملايين المصاحف والآف القرّاء في كلّ المحافل وبشتى القرآءات ولكن أين من يجسّد القرآن واقعا ملموسا في السلوك والأخلاق والتعامل الذي هو الدين الذي أمرنا به { الدين المعاملة } .( [[88]](#footnote-87) )

فلكي ينضبط السلوك والتعامل إقرأ القرآن وافهمه واعمل به لينضبط السلوك على ما يرسم ويوجه حتى يتحقق الأمر الذي أشارت إليه السيدة عائشة  حين سئلت عن خلق النبي  فقالت " كان خلقه القرآن " ( [[89]](#footnote-88) ).

قرآنا كان يمشي على قدمين أما أن يقرأ القرآن ويُختَم مرّات ومرّات ثم لا يُعمل به فذلك هو الهجران المبين الذي يشكوه النبي  إلى الله فيقول :

** ياربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ** الفرقان / 30 .

والذي تحدّث عنه ابن مسعود  حين قال " والله لئن اقرأ الزلزلة وأتمعن فيها خير لي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة " أي سريعا بلا فهم .

ولقد روي عنه  أنه قال :" كنا على عهد رسول الله  نحفظ عشر آيات لا نتجاوزها حتى نتعلم ما بها من علم ثم نعمل بها ، قال فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا " .

كم من قارئ يقرأ القرآن بصورة منضبطة وفق قواعد التلاوة والتجويد فلا يخطئ فيها ولا في شيء منها بينما يمرّ على معناها مرور الكرام وقد تكون الآية مما تهّتزّ لها الجبال ثم لا يهتّز لها بدنه ولا شعرة منه . الأمر الذي ينبغي أن يكون متحققا عند القراءة الصحيحة لأن الله تعالى يقول :

 **ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وما نزل من الحق**  الزمر / 23.

وعلى أضعف الإيمان حين يتقنون إخراج الغنّة من الخيشوم في مواضعها كقوله تعالى :  **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا أليما** النساء / 93 .

أفلا يحسنون إخراج صوت من الخيشوم بغنّة أو بلا غنّة يعترضون فيه على من يقتل ـ ليس مؤمنا واحدا بل أمم في مجازر ـ وعمدا وبتخطيط مسبق وفي وضح النها ر وعلى مرأى من العالم ومسمع وبعصب بارد بلا جرم إلا لأنهم حملة هذا الدين حتى غدت دماؤهم أنهارا . والعجيب أن أول الآية ينفي جواز قتل المؤمن بأي حال إلا أن يكون خطأ  **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ**  الآية / 92 . بينما الآية التي قبلها / 91 . تحرّض المؤمنين على قتل الكافرين وليس على قتالهم فحسب فانظر **فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السَلم ويكفوا أيديهم فخذوهم ـ واقتلوهم ـ حيث ثقفتموهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا**  النساء /91.

ولئن صرخ بها رجل مؤمن يكتم إيمانه في وجه الطغيان وقد همّوا بقتل موسى فاعترض وقال  **أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله**  غافر / 28 . فكيف لو قتلوه ؟ وكيف والقتل أصبح دستورا وقانونا وشريعة في الأرض ؟؟ ولا من قائل أن هذا حرام ولا يجوز، وقتال المسلم كفر صريح ورد ذلك عن رسول الله  { سباب المسلم فسوق وقتاله كفر } .( [[90]](#footnote-89) )

فهل كفرت الأمة بالقرآن وهي لا تشعر ؟؟ .

إن الإنضباط بالقواعد والأصول التفسيرية وعدم التهاون بها يجعل النص القرآني في حرز ومأمن من العبث به وحمله على غير موضعه بأي لون من ألوان الإنحراف في التفسير الظاهري أو الباطني أو الفكري أو النفسي والمذهبي والإعتقادي على حدّ سواء .

وإن قيمة الانضباط بالمنهج التفسيري الأصولي الذي رسمه النبي  تبرز من خلال استشعار المؤمن والعالِم والمفسِّر لعِظَم المسؤولية الملقاة على عاتقه والتي لا يجوز لمن يتعرّض لتفسير كتاب الله تعالى أن يتهاون فيها فلا يعطيها حقها . إما أن يفسر القرآن تفسيرا يفهم القارئ من خلاله فهما يَحْمِله على العمل والتنفيذ وإلا ما فائدة التفسير الذي لا يُتبين المراد منه ؟ ولا يفهم القارئ معناه ولا يعرف ما عليه تجاهه ؟ .

إن مهمّة النبي  لم تكن مقتصرة على تبليغ القرآن لفظا فحسب وإنما تبيينه للناس بيانا شافيا حتى لا يدع في النفس شيئا يتململ وبحيث أن النبي  ما ترك شيئا كان يحتاجه أهل زمانه إلا وبيّنه بيانا لا لبس فيه ولا غموض امتثالا لأمر الله تعالى :

 ونزّلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم  النمل / 44. والنذير المبين في قوله تعالى  وقل أني أنا النذير المبــين  الحجر / 89 . ما يكون في بيانه واضحا يفهم منه السامع كلّ ما يقول ويعي عنه ما يريد .

ويظهر إن ابن خلدون قد شعر بذلك فصرّح به فيما أورده - في مقدمته - حيث قال: "وكان النبي  يبين المجمل، ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرّفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه"( [[91]](#footnote-90) )

فإذاً حتى لا يتجرأ أحد على الله بغير علم وبغير أحاطته بالمعنى المراد من النص من خلال رسوخه في العلم رسوخا يؤهله إلى أن يستنبط العلم من حقائق القرآن الدالّة عليها نصوصه لقوله تعالى:

لعلمه الذين يستنبطونه منهم  النساء / 83 .

وما يملك أن يصل إلى مرحلة الإستنباط إلا الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بـ " الراسخين في العلم " .

وبغير القواعد والأصول التي قعّدها ووضع ضوابطها المعلّم الأول صلى الله علي وسلم لا يقوم بناء التفسير بناءً سليما أو متينا فيرتقي ليكون منارا يهدي الحائرين في ليل التائهين . وغياب الراسخين في العلم عن ساحة البيان سيترك مجالا لرؤساء جهّال يُسألون فيفتون بغير علم فيَضِلّوا ويُضِلّوا .

ولكي نقرّب المعنى أكثر ونجعله واضحا للفكر والبصيرة نضرب لذلك بعض الأمثلة التي أجد لها من الضرورة مكاناً .

الأنموذج الأول :التفسير المجمل للكلمة أو الآية .

كان خلواً من الالتزام بهذه الضوابط التفسيرية والتعرّض لتفسير القرآن بلا بحث ولا دراسة ولا حتى رجوع إلى لغة القرآن بتحقيق دقيق . وإنما تفسير القرآن بمجرّد الإشارة إلى معنى الكلمة وربما كان المعنى غير دقيق بحيث يكون التفسير لا فائدة فيه فلا يسمن ولا يغني من جوع فبيان معنى اللفظ المجرد لا يعطي الصورة الحقيقية للمعنى المراد إذ لا بد من النظر في جو الآية ومناسبتها وموقعها من السورة وعلاقتها بغيرها على أساس من الموضوعية . خذ المصحف وانظر في تفسير أي آية منه وسترى بعد الإطلاع على تفسيرها أنك لا تزال ظمآنا إلى فهم أكثر ... أعمّ وأشمل .

يقول السيد علي بن مصطفى خلّوف في " التفسير الوجيز على هامش الكتاب العزيز" ( [[92]](#footnote-91) ) . في تفسيره لبعض آيات من سورة الإسراء من قوله تعالى:

** وليتبّروا ما علو تتبيرا ** ـ

يقول : " أي ليدمّروا  ما علوا  أي ما ظهروا عليه  عسى ربكم أن يرحمكم  إن تبتم  وإن عدتم  إلى الإفساد  عدنا  بالعذاب مع العذاب في

الآخرة  حصيرا  لا محيد لهم عنه " .( [[93]](#footnote-92) )

هكذا بهذا الإيجاز وبهذه المعاني البسيطة بينما هذه الآيات فيها من المعاني أكثر وأثقل من ذلك بكثير بحيث أننا لو قصرناها على هذا النحو لكنا قد أسأنا التفسير وأفهمنا السامع غير المعنى المراد من هذه الآيات .

فانظر كيف ترسم هذه لآيات للأمة طريقا لا ينبغي أن تتغافل عنه وإلا قعدت بين الأقدام بذلّة وخنوع .

إن هذه الآيات لتضع الأمة بل إنها لتصنع لها تاريخا مشرّفا في مواجهة إفساد بني إسرائيل وعلوّهم في الأرض ، إن هذه الآيات تتحدّث عن عقوبة الله لبني إسرائيل في الوعد الآخر أي الوعد الثاني لهم حين تحدث المواجهة الكبرى والملحمة العظيمة بينهم وبين المؤمنين الموحدين الذين أشارت إليهم الآية نفسها من خلال عود الضمير إلى أقرب مذكور وهو ** بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد**  الإسراء/ 5. والآية التي نحن بصددها فيها الضمير العائد إلى العباد في قوله : **** ليسوؤوا ـ وليدخلوا كما دخلوه أول مرّة ـ وليتبّروا ..  الإسراء / 7.

فاللام هنا في هذه الأفعال الثلاثة هي لام كي والتي هي للإستقبال وأما الواو في هذه الأفعال الثلاثة فضمير عائد على المبعوثين ـ باتفاق جمهور المفسرين ـ وعليه فتقدير الآية هو: **** فإذا جاء وعد الآخرة  ـ بعثناهم عليكم مرّة أخرى لكي يسوؤوا وجوهكم ولكي يدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرّة ولكي يتبّروا ما علاه بنو إسرائيل تتبيرا " . هذه قضية !!! .

والقضية الأخرى أن السيد خلّوف في التفسير الوجيز يقول في معنى تتبيرا أي تدميرا ، بينما التتبير غير التدمير إذ أن التتبير أعمّ من التدمير ، فالتتبير من التبار وهو الهلاك ، وتبّره تتبيرا كسّره وأهلكه . وقوله تعالى :

 وكلاً تبّرنا تتبيرا  الفرقان / 39 – قال التتبير ..التدمير الشديد. ( [[94]](#footnote-93) )

وقال الزجّاج :

( يقال لكل شيء ينكسر من الزجاج والحديد والذهب .. تبر). ( [[95]](#footnote-94) )

وقال الثعالبي في قوله تعالى ** وكلاً تبرنا تتبيرا ** الفرقان /39 . وتبّر معناه : " أفسد بغشم وركوب الرأس ". ( [[96]](#footnote-95) )

ويقول الماوردي في  وليتبروا ما علوا تتبيرا  فيه تأويلان :

**أحدهما :** أنه الهدم والدمار .

**والثاني :** أنه الهدم والإخراب . قاله قطرب .( [[97]](#footnote-96) )

و يقول فيه العلاّمة الراغب :" التّبْرُ الكبيرُ والإهلاك يقال تَبَرَهُ وَتَبَّرَهُ قال تعالى :

** إنّ هؤلاء مُتَبَّرٌ ماَ هُم فِيهِ **الأعراف / 139. وقال:

** وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتبيرًا ** الفرقان / 39.

** وَلْيُتَبَّروا مَا عَلَوا تَتْبيرًا ** الإسراء / 7. وقوله تعالى :

** وَلا تَزِدِ الظَّالِمينَ إِلاّ تَبَاراً ** نوح / 28 .

قال الزجاج معناه إلا هلاكاً ... ولذلك سمي كل مكُسّر تبراً . ( [[98]](#footnote-97) )

وعليه فإن التدمير هو الخراب الذي يمكن أن يتبعه إصلاح بينما التتبير هو الهلاك الذي لا يمكن إصلاحه بأي حال .

فتتبير ما علاه اليهود تتبيرا يوحي بأن كل ّما علاه اليهود سوف يكون بعد هذا التتبير ميؤساً منه فكلمة " تتبيراً " تعني أن علوهم تكسّر وتفتت فلا أمل لهم في عودته أو الانتفاع منه بشيء أو بشيء منه . ( [[99]](#footnote-98) )

وكذلك الحال في  عَلَوْ  حيث قال :" ما علوا عليه " لا ... وإنما ما علوا فيه على الناس فإن ذهاب ما علو عليه لا يحزنهم بقدر حزنهم على ذهاب وهلاك ما علو هم فيه على الناس، وهذا يشمل كل شيء علوا فيه ماديا كان أو معنويا , علميا كان أو تكنولوجيا ، تجاريا أو صناعيا أو زراعيا فنيا أو إعلاميا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا وكل أنواع العلو في الأرض سوف نتبّره تتبيرا لا تقوم لهم قائمة بعده أبدا ، حتى لا ولم يعد ينفعهم شيء إلا شجر الغرقد يختبئون خلفه وحتى هذا فإن الحجر والشجر كفيلان به .

إذا فلا ينبغي أن يكتفي بجزء من المعنى دون بيان المعنى الدقيق للكلمة والتعبير القرآني من أجل الوصول إلى تمام الصورة وفهم المضمون بصورة أوسع وأشمل .

الأنموذج الثاني : التفسير الباطني

والذي كان خارجا على حدود الإنضباط بالقواعد والأصول التفسيرية ولم يعتمد المنهج التفسيري النبوي وإنما هو اتباع للهوى والظن والقول على الله تعالى بغير علم والجرأة في ذلك .

ولقد تعددت التفاسير التي انحرفت بانحراف أصحابها عن جادت الصواب ومنهج النبي  ومخالفة للأصول والضوابط وقواعد التفسير ، وعلى رأس هذه التفاسير تفاسير الباطنية بأنواعها . وقد لا أكون مخطئا إذا قلت أن بداية خط الإنحراف في التفسير كان على يد عبد الله بن سبأ اليهودي الحاقد الذي تظاهر بالإسلام وغلا في حب عليّ حتى جعله نبيا ، ثم بالغ في الغلو حتى جعله إلها وزعم أنه لم يقتل وإنما رفع إلى السماء . فقد بدأت السبئية هذا الخط وتنكبت الحركات الباطنية هذا المسار انحرافا وشذوذا في النظر في القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله التأويل الفاسد .

وفي هذا يقول الدكتور الذهبي :

" فالسبئية الذين يزعمون أن عليا في السحاب وعلى هذا يفسّرون الرعد بأنه صوت علي والبرق بأنه لمعان سوطه أو تبسمه ولهذا كان أحدهم حين يسمع الرعد يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين ..

وزعيم السبئية كان يزعم أن  سيرجع إلى الحياة الدنيا ويتأول بذلك قوله تعالى  **إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد**  القصص/85. [[100]](#footnote-99)

ثم جاءت البيانية وهم جماعة بيان بن سمعان التميمي فزعم أنه المذكور في القرآن بقوله تعالى  هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين  عمران / 138. وكان يقول أنا البيان وأنا الهدى والموعظة .

وكان يزعم أن الله تعالى رجل من نور وأنه يفنى كلّه غير وجهه ويتأول بذلك قوله تعالى: كل شيء هالك إلا وجهه  القصص /88.

وكذلك في قوله  كلّ من عليها فان ويبقى وجه ربك ...  الرحمن / 26.

والمغيرية : نسبة إلى المغيرة بن سعيد العجلي : يقول إن الله تعالى لمّا أراد أن يخلق العالم تكلّم بالإسم الأعظم ، فطار ذلك الإسم ووقع تاجا على رأسه . وتأول على ذلك قوله تعالى  سبح اسم ربك الأعلى  الأعلى / 1 . وزعم أن الإسم الأعلى إنما هو ذلك التاج .( [[101]](#footnote-100) )

ويزعم المغيرة أن الله تعالى خلق أظلال الناس قبل أجسادهم فكان أول ما خلق منها ظل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ذلك في قوله تعالى :

 قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين  الزخرف / 80. وزعم هذا الضال أن الله أرسل ظل محمد إلى أظلال الناس ثمّ عرض على السموات والجبال أن يمنعن علي بن أبي طالب من ظالميه فأبين ذلك فعرض ذلك على الناس فأمر عمر أبا بكر أن يتحمّل نصرة علي ومنعه من أعدائه وأن يغدر به في الدنيا وضمن له أن يعينه على الغدر به على شرط أن يجعل له الخلافة من بعده ففعل أبو بكر . قال فذلك تأويل قوله تعالى .

 إنا عرضنا الأمانة على السموات ... إنه كان ظلوما جهولا الأحزاب/72.

فزعم أن الظلوم والجهول أبو بكر . ( [[102]](#footnote-101) )

وتأول في عمر قوله  كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر  الحشر /16.

والشيطان عنده عمر . ( [[103]](#footnote-102) )

ومن تأويلات المنصورية أن زعيمهم كان يزعم أنه عرج به إلى السماء وأن الله تعالى مسح بيده على رأسه وقال له يا بني بلغ عني ثمّ أنزله إلى الأرض وزعم أنه الكسف الساقط من السماء المذكور في قوله تعالى :

 وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم  الطور / 17.

ومن تأويلات الخطابية أن الجنّة هي نعيم الدنيا والنار آلامها . ويقولون أنه ما من مؤمن إلا ويوحي الله تعالى إليه يتأولون قوله الله تعالى:

 وأوحى ربّك إلى النحل  النحل / 68.

فإذا كان الله يوحي إلى النحل أفلا يجوز أن يوحى إلينا . ( [[104]](#footnote-103) )

أما العبيديين الشيعة أصحاب عبيد الله الشيعي المسمى بالمهدي كان له صاحبان من كتّابه ينتصر بهما على أمره أحدهما اسمه نصر الله والآخر اسمه الفتح ، فكان يقول لهما أنتما اللذان ذكركما الله في كتابهإذا جاء نصر الله والفتح  وكان يبدل آيات الله في قوله تعالى  كنتم خير أمة أخرجت للناس  كان يقول ـ كتامة خير أمة أخرجت للناس .( [[105]](#footnote-104) )

وعن أبي الجار ود عن أبي عبد الله قال في قوله تعالى :

** أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ** النمل / 61. أي أإمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد ؟؟ . وما رواه القميّ في تفسيره لقوله تعالى :

** وأشرقت الأرض بنور ربها ** الزمر/ 69. أن الصادق قال : أي رب الأرض يعني إمام الأرض .. ( [[106]](#footnote-105) )

وأختم بشيء فيه عجب أن سعد بن عبد الله عم الحجة القائم سئل عن تأويل  كهيعص  فقال هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عبده زكريا ثمّ فصّلها على محمد  وذلك أن زكريا سأل ربّه أن يعلمه بأسماء الخمسة فأهبط الله عليه جبريل فعلّمه إياها فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعليا وفاطمة والحسن سرّي عنه همّه وانجلى كربه وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة فقال ذات يوم : الهي ما بالي إذا ذكرت أربعا منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي ؟ فأنبأه تبارك وتعالى عن قصته فقال :

 كهيعص  فالكاف أسم كربلاء والهاء هلاك العترة والياء يزيد لعنه الله وهو ظالم الحسين ، والعين عطشه ، والصاد صبره . فلما سمع بذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيها الناس من الدخول عليه .( [[107]](#footnote-106) )

وفي ذلك يقول الذهبي :

فأنت ترى أن هؤلاء الغلاة الذين كفروا بما يعتقدون يجدون في صرف اللفظ القرآني عن معناه الذي سيق له إلى معنى يتفق مع عقيدتهم ويتناسب مع أهوائهم ونزعاتهم ويقولون على الله بغير علم ولا برهان .( [[108]](#footnote-107) )

قلت : ومن هؤلاء الغلاة الأمامية الإثنى عشرية والذين كان لهم ارتباط وثيق وقديم بينهم وبين المعتزلة حيث تتلمذ الكثير من شيوخ الشيعة وعلمائهم لبعض شيوخ المعتزلة كما يظهر لنا ـ على حد قول الذهبي رحمه الله تعالى فالحسن العسكري والشريف المرتضى وأبو علي الطبرسي وغيرهم من قدماء الشيعة ينظرون هذه النظرة الإعتزالية في تفاسيرهم التي بأيدينا ، حيث أن الإمامية لم يجدوا في القرآن كل ما يساعدهم على أغراضهم وميولهم فراحوا أولا يدعون أن للقرآن ظاهراً وباطناً وربما كانت هذه حقيقة نُقرّهم عليها بما صح لدينا من الأحاديث التي تقرر هذا المبدأ في التفسير على الرغم أننا نختلف معهم في معنى هذا الباطن وعلى الرغم من أنهم تجاوزوا إلى القول بأن للقرآن سبعة وسبعين بطنا . بل تمادوا وادعوا أن الله جعل ظاهر القرآن في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة وجعل باطنه في الدعوة إلى الإمامة والولاية .

وحاولوا أن يوفقوا بين المعاني الظاهرة والمعاني الباطنة للقرآن , ومن أمثلة هذا التوفيق والربط بين ظاهر القرآن وباطنه في قوله تعالى :

 مثل الجنة التي وعد المتقون ... كل الثمرات  محمد / 15.

فهم يقرّون أن هذا الظاهر مراد الله تعالى ومراد له مع هذا الظاهر معنى آخر باطني هو علوم الأئمة عليهم السلام ويقولون إن الجامع بين المعنيين هو الإنتفاع بكلّ منهما وبمثل هذا يوفقون بين المعاني الظاهرة والباطنة " . [[109]](#footnote-108)

وقد تجرؤا على التلاعب بالنصوص القرآنية على وفق أهوائهم بغير ضابط شرعي أو دليل فقوله تعالى  لتركبن طبقا عن طبق الانشقاق/ 19 . إشارة إلى أن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء .

وفي قوله تعالى :  وقال الذين لا يرجون لقائنا إئت بقرآن غير هذا أو بدّله/ . يفسرون  أو بدله  بمعنى أو بدل عليا . ومعلوم أن عليا لم يسبق له ذكر ولم يكن الكلام مسوقا في شأن خلافته وولايته . ( [[110]](#footnote-109) )

ولقد اشتطوا وبالغوا في هذا المبدأ الباطن الباطل إذ قالوا إن تأويل الآيات القرآنية لا يجري على أهل زمان واحد بل عندهم أن معاني القرآن متجددة على وفق تجدد الأزمنة وما يكون فيها من حوادث بل وساغ لهم ما هو أكثر من ذلك فقالوا إن الآية الواحدة لها تأويلات كثيرة مختلفة متناقضة .

وأن الآية الواحدة يجوز أن يكون أولها في شيء وآخرها في شيء آخر . ولقد أحسوا بخطر موقفهم وتحرجه عندما جوزوا أن يكون للآية أكثر من تفسير واحد مع التناقض والإختلاف بين هذه التفاسير . فأخذوا يموهون على العامة ويظللونهم فقرروا من المبادئ ما أوجبوا الإعتقاد به أولا على الناس ليصلوا بعد ذلك إلى مخلَص يتخلصون به من هذا المأزق الحرج . فكان من هذه المبادئ التي قرروها وأوجبوا الإعتقاد بها ما يأتي :

**أولا :** أن الإمام مفوض من قبل الله في تفسير القرآن .

**ثانيا :** أنه مفوض في سياسة الأمة .

**ثالثا :** التقية .

يقول الدكتور الذهبي :" وكل واحد من هذه الثلاثة يمكن أن يكون مخلّصا للخروج من هذا التناقض الذي وقع في تفاسيرهم التي يروونها عن أئمتهم .... فالكافي يروي عن الصادق : أن القرآن الذي نزل به جبريل على محمد  سبعة عشر ألف آية والتي بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاثة وستون آية والبواقي مخزونة عند أهل البيت فيما جمعه علي بزعمهم . ويقولون : أن سورة  لم يكن  كانت مشتملة على اسم سبعين رجلا من قريش بأنسابهم وآبائهم . وأن سورة الأحزاب كانت مثل سورة الأنعام أسقطوا منها فضائل أهل البيت . وأن سورة الولاية أسقطت بتمامها ... وغير ذلك من خرافاتهم . ( [[111]](#footnote-110) )

ومن تفاسير الباطنية ما نقله الذهبي عن على بن محمد الصليحي زعيم باطنية اليمن :حيث اتخذ نوابا يسميهم الدعاة المأذونين وآخرين يسميهم المكلبين ، تشبيها لهم بكلاب الصيد لأنهم ينصبون للناس الحبائل ويكيدونهم بالغوائل وينقبضون عن كلّ عاقل ويلبّسون عن كلّ جاهل بكلمة حق يراد بها باطل ويحضّونه على شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام كالذي ينشر الحب للطير ليقع في شركه فيقيم فيهم أكثر من سنة ينظرون صبره ويتصفحون أمره ويخدعونه بروايات عن النبي محرّفة وأقوال مزخرفة ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ويحرفون الكلم عن مواضعه .

فعن الصلاة والصيام مثلا قالوا في قوله تعالى:

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة البقرة / 43. فالزكاة مفروضة في كل عام مرّة وكذلك الصلاة من صلاّها مرّة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار وأيضا فالصلاة والزكاة لهما باطن لأن الصلاة صلاتان والزكاة زكاتان والصوم صومان والحج حجّان وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن يدل على ذلك قوله :

 وذروا ظاهر الإثم وباطنه  الأنعام / 120. و قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الأعراف / 33.

ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن ؟ فالظاهر ما تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام وأما الباطن فقصر علم الناس به عن العلم به . فلا يعرفه إلا القليل من ذلك قوله  وما آمن معه إلا قليل  هود / 40. و قليل ما هم  صاد / 24. و قليل من عبادي الشكور  سبأ / 13. فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم . والصلاة والزكاة سبعة أحرف دليل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلي لأنهما سبعة أحرف فالمعني بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة فيوهمون على من لا يعرف لزوم الشريعة والقرآن وسنن النبي صلى الله عليه وسلم فيقع هؤلاء المخدوعين بموقع الإتفاق والموافقة لأن مذهب الراحة والإباحة يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ويبيح لهم ما حضر عليهم من محارم الله فإذا قبل المغرور منهم ذلك قالوا له : قرّب قربانا يكون لك سلما ونجوى ونسأل مولانا يحطّ عنك الصلاة ويضع عنك هذا الإصر فيدفع مبلغا من المال فيقول الداعي: يا مولانا إن عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها فاطرح عنه الصلاة وضع عنه هذا الإصر وهذا نجواه ـ المال المدفوع ـ فيقول اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له  ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم  الأعراف / 157. فعند ذلك يقبل عليه أهل هذه الدعوة ويهنئونه ويقولون له: الحمد لله الذي وضع عنك  وزرك الذي أنقض ظهرك  الإنشراح / 3.

ثمّ يبيح له الخمر والميسر على أساس أنهما مما تنبت الأرض أما عن الخمر والميسر المذكورين في قوله تعالى  إنما الخمر والميسر و...  إنما المقصود بهما أبو بكر وعمر لمخالفتهما على علي أما الخمر وما يجعل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام لأنه مما أنبتت الأرض ويتلو عليهم :

 قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق  الأعراف / 32. و ليس على الذين أمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا  المائدة / 93. يجعلون الخمر من الطيبات ليس عليهم جناح إذا طعموها .( [[112]](#footnote-111) )

الأنموذج الثالث : التفسير الصوفي :

سنتحدث عن التفسير الصوفي في موضعه عند الحديث عن أنواع التفسير ، أما هنا فسنضرب أمثلة منه لنبين جانبا من الإنحراف في التفسير حين لم ينضبط بالضوابط الأصولية التي رسمها النبي صلى الله عليه وسلم وقعّدها المتقدمون .

فإن التفسير الصوفي عموما لم يستند إلى أصل شرعي أو ضابط من ضوابط التفسير الصحيح وإن ذلك واضح من خلال التحقيق والإطلاع على فكر وعقيدة وسلوكيات علماء الصوفية ومفسريهم كابن عربي وغيره .

يقول الدكتور الذهبي عن ابن عربي وتفسيره للقرآن الكريم على وفق نظرياته الصوفية الفلسفية فيقول في قوله تعالى  ورفعناه مكانا عليا  مريم/ 57. في شأن إدريس " وأعلى الأمكنة المكان الذي تدور عليه رحى عالم الأفلاك وهو فلك الشمس وفيه مقام روحانية إدريس وتحته سبعة أفلاك وفوقه سبعة أفلاك وهو الخامس عشر " ثم ذكر الأفلاك التي تحته والتي فوقه ثمّ قال :" وأما أعلى الأفلاك فهو لنا أعني المحمديين كما قال تعالى  وأنتم الأعلون والله معكم  محمد / 35. في هذا العلو وهو يتعالى عن المكان لا عن المكانة " .( [[113]](#footnote-112) )

وعن قوله تعالى: مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيانالرحمن/ 20.

يقول ابن عربي :  مرج البحرين بحر الهيولي الجسمانية الذي هو الملح الأجاج وبحر الروح المجرّد الذي هو العذب الفرات ** يلتقيان** في الوجود الإنساني ** بينهما برزخ ** هو النفس الحيوانية التي ليست في صفاء الروح المجرّدة ولطافتها ، ولا في كثرة الأجساد الهيولانية وكثافتها **لا يبغيان ** لا يتجاوز أحدهما حدّه فيغلب على الآخر بخاصيته ، فلا الروح يجرّد البدن ويخرج به ويجعله من جنسه ولا البدن يجسد الروح ويجعله ماديا " .( [[114]](#footnote-113) )

وابن عربي يتأثر في تفسيره للقرآن الكريم بوحدة الوجود التي هي أهم نظرياته التي بنى عليها تصوفه وهو يشرح الآيات وفق هذه النظرية فنجده مثلا يقول في قوله تعالى  فادخلي في عبادي وادخلي جنتي الفجر /30.

" وادخلي جنتي التي هي ستري وليست جنتي سواك فأنت تسترني بذاتك الإنسانية فلا أعرف إلا بك كما أنت لا تكون إلا بي فمن عرفك عرفني وأنا لا أعرف كما أنت لا تعرف فإذا دخلت جنته دخلت نفسك فتعرف في نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التي عرفتها حين عرفت ربّك بمعرفتك إياها فتكون صاحب معرفتين معرفة به من حيث أنت فأنت عبد رأيت ربّا وأنت ربّ لمن أنت له فيه أنت عبد وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد " .( [[115]](#footnote-114) )

ومثل هذا كثير في كلام الصوفية ولكن هناك أقوال لهم في التفسير الإشاري يقف أمامها العقل حائرا وعاجزا عن تلمّس محمل لها تحمل عليه حتى تبدوا صحيحة وتصبح مقبولة . فمن ذلك ما يروونه عن ابن عبّاس أنه فسّرألم  فقال : ـ الألف : ألله . واللام : جبريل .والميم : محمد  وأنه أقسم بنفسه وجبريل ومحمد . ( [[116]](#footnote-115) )

وهذا إن صح نقله فهو مشكل إلى حدّ بعيد ، ذلك لأن الإشارة إلى الكلمة بحرف ليس معهودا في كلام العرب اللهم إلا إن دلّ عليه الدليل اللفظي أو الحالي كقول الشاعر : " فقلت لها قفي فقالت قاف " . ( [[117]](#footnote-116) )

على أنه لم يقم دليل من الخارج يدل على هذا التفسير إذ لو كان له دليل لاقتضت العادة نقله لأنه من المسائل التي تتوفر الدواعي على نقلها لو صح أنه مما يفسر ويقصد تفهم معناه ، ولمّا لم يثبت شيء من ذلك دلّ على أنه من قبيل المتشابهات فإن ثبت له دليل عليه صرنا إليه وإلا توقفنا .

ومثل هذا المروي عن ابن عباس ولعلّه أشكل منه ما قاله التستري في تفسيره للبسملة حيث قال " **بسم الله الرحمن الرحيم** "الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مجد الله ، والله هو الإسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلّها و الألف والام منه حرف مكنى غيب من غيب إلى غيب ، وسر من سر إلى سر ، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة ، لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس والآخذ من الحلال قواما ضرورة الإيمان ، والرحمن اسم فيه خاصية من الحرف المكنى بين الألف واللام ، والرحيم هو العاطف على عباده بالرزق في الفرع والإبتداء في الأصل رحمة لسابق علمه القديم ". ( [[118]](#footnote-117) )

ويقول الذهبي :" فهذا الذي يقوله السهل التستري وأبو عبد الرحمن السلمي مشكل كالمروي عن ابن عباس ، بل أعظم منه إشكالا حيث ادعوا أن هذه الحروف ترمز إلى أسرار غيبية ومعان مكنية وإذا جمعت هذه الحروف على طريقة مخصوصة كان كذا وكذا ، بل يدّعون أحيانا أن هذه الحروف هي الأصل لعلوم ومنبع المكاشفات على أحوال الدنيا والآخرة ، وينسبون ذلك إلى أنه مراد الله تعالى في خطابه العرب الأمية التي لا تعرف شيئا من ذلك، وهذه كلّها دعاوى يدعونها على القرآن ولا أحسب أنهم استندوا فيها إلى دليل برهاني أو إقناعي وكلّ ما أقول فيها أنها دعاوى محالة على الكشف والإطلاع ودعوى الكشف لا تصلح دليلا شرعيا بحال من الأحوال " . ( [[119]](#footnote-118) )

ولعلّ من الإنصاف أن نقول : أن هناك من الصوفية غير المغالين كانوا في تفسيراتهم للآيات القرآنية لا يخرجون عن حدود الكتاب والسنّة . ومن هؤلاء ما أثر عن الفضيل بن عياض ت/ 187. رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى : ** ليبلوكم أيكم أحسن عملا ** الملك / 2. قال : أي أخلصه وأصوبه . قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يٍٍُِِقبلْ والصواب أن يكون على السنة والكتاب .

وقال أبو القاسم الجنيد سيّد هذه الطائفة " الطرق كلّها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول  واتبع سنته ولزم طريقته " . ( [[120]](#footnote-119) )

والأنموذج الرابع : التفسير التاريخي:

التفسير غير منضبط والخارج عن الأصول التفسيرية هو ذلك التفسير الذي يعتمد على التأريخ في فهم الآية ومعرفة مدلول النص القرآني ، والذي كان ينبغي أن يبين الحق ويكشف زيف الباطل الذي طمس التأريخ من خلال التحريف والتبديل عن طريق الوضع والإسرائيليات المأخوذة عن أهل الكتاب .

إن هناك الكثير من الآيات فُسّرت تفسيرا تاريخيا ، فأحيل معناها ومدلولها إلى ما كان من التاريخ القديم بينما الدراسة والتمحيص والتحقيق أثبتت عكس ذلك وخطأ ذلك المنحى الخطير الذي أدى إلى غياب مدلول النص القرآني وضياع فهمه وبالتالي تيه الأمة في كل الدروب وعدم الإهتداء إلى الطريق الصحيح في فهم القرآن والتفاعل معه .

وقضية الاحتكام إلى التأريخ في فهم الآيات القرآنية على الرغم من خطورتها لم يتنبه إليها كثير من العلماء إلا قليل من قليل منهم ، كما فعل سيد قطب والذي أشاد بطرحه الدكتور الفاضل عماد الدين خليل في موضوع حديثه عن احتكام القرآن للتأريخ في كتابه القيم " التطور التأريخي في فكر سيد قطب " والذي سنقتبس منه ما يعالج هذا الموقف .

قلت : إن بداية كتابة التفسير وتدوينه كانت – ربما – مصاحبة لكتابة التاريخ تقريبا فالذين فسروا الآيات المتعلقة بالأمم السابقة اعتمدوا على ما كتبه كتاب التاريخ في فترة تكاد تكون متقاربة فالمسعودي في مروج الذهب وابن جرير الطبري في تاريخه للأمم والملوك وابن الأثير في كامله وبداية ابن كثير ونهايته وغيرهم كانت كتبهم المصادر الأولية لمن فسّر الآيات التي لها علاقة بقصص الماضين وما جرى من أخبارهم في ماضي الزمان..

وعن هذه القضية.. قضية إسناد القصص القرآني لكتب التاريخ يقول سيد قطب :" إنه لابد من الإقرار بعدم جواز محاكمة القرآن إلى التاريخ وذلك لسببين:

**الأول -** إن التاريخ مولود حديث العهد فاتته أحداث لا تحصى في تاريخ البشرية لم يعلم عنها شيئا والقرآن يروي بعض هذه الأحداث التي ليس لدى التاريخ علم عنها - قبل تدوينه لبعضها..

**الثاني -** إن التاريخ.. وإن وعى بعض هذه الأحداث هو عمل من أعمال البشر القاصرة يصيبه ما يصيب جميع أعمال البشر من القصور والخطأ والتحريف، ونحن نشهد في زماننا هذا الذي تيسرت فيه أسباب الاتصال ووسائل الفحص - أن الخبر الواحد أو الحادث الواحد يُروى على أوجه شتى، ويُنظر إليه من زوايا مختلفة، ويفسر تفسيرات متناقضة.. ومن مثل هذا الكلام يصنع التاريخ.. مهما قيل بعد ذلك في التمحيص والتدقيق" .( [[121]](#footnote-120) )

ويقول في موضع أخر معللا عجز البحث التاريخي على تغطية أحداث التاريخ :" أن البحث التاريخي لا يملك القدرة المطلقة على سبر غور التاريخ البشري أو التغطية الدقيقة الشاملة على امتداده في الزمان والمكان.. فالتاريخ مولود حديث جدا بالقياس إلى عمر البشرية وقد جرت قبل هذا التاريخ المدون أحداث كثيرة لا يعرف عنها شيئا فليس هو الذي يستفتى فيها" .( [[122]](#footnote-121) )

وفي رده على مدى الاعتماد على أخبار أهل الكتاب عن أحداث جرت واحتمال كونها مستقاة من التوراة قال :

" كان يمكن للتوراة كمصدر ديني - أن تكون مرجعا يعتمد عليه في شيء من تلك الأحداث لو أن التوراة سَلِمت من التحريف والزيادات.. ولكنها أحيطت بالأساطير التي لاشك في كونها أساطير.. وشحنت كذلك بالروايات التي لاشك في أنها مزيدة على الأصل الموحى به من الله ، فلم تعد التوراة - بذلك - مصدرا مستيقنا لما ورد فيها من القصص القرآني وإذاً فلم يبق إلا القرآن الذي حُفظ من التحريف والتبديل هو المصدر الوحيد لما ورد فيه من القصص التاريخي" .( [[123]](#footnote-122) )

إن الله سبحانه قد انزل هذا القرآن لكي يكون هو المصدر الذي تستقي منه البشرية العلم والمعرفة والهداية وجعل فيه تفصيل كل شيء من أخبار الأولين والآخرين ولو وجد من يبحث فيه بين ثنايا آياته وفواصل كلماته ويتدّبره حق تدبّره.. لأغناه عن أن يستفتي التاريخ فيما جاء في القرآن..

يقول سيد قطب :" إن مجرد الكلام عن استفتاء التاريخ فيما جاء به القرآن الكريم من القصص كلام تنكره القواعد العلمية المقررة التي ارتضاها البشر، قبل أن تنكره العقيدة التي تقرر أن القرآن هو القول الفصل.. وهو كلام لا يقول به مؤمن بالقرآن.. ولا مؤمن بوسائل البحث العلمي على السواء إنما هو مراء".( [[124]](#footnote-123) )

هذا عن كتب التاريخ.. " أما تفسير القرآن فقد وردت فيها أقوال كثيرة ولكنها فيما يؤكد سيد قطب :" لا تعتمد على يقين" كما إنها " ينبغي أن تؤخذ بحذر لما فيها من إسرائيليات وأساطير" .( [[125]](#footnote-124) )

وفي هذه المسألة يقول إبن عاشور صاحب التفسير الكبير ـ التحرير والتنوير :

" وكم من آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث  قد ضيم وسيم الخسف، بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة".( [[126]](#footnote-125) )

فحين ينسب معنى كثير من الآيات إلى تاريخ مضى قيل عنه انه من علم أهل الكتاب بلا تدّبر لكتاب الله تعالى . وعدم النظر فيه أو في السّنة التي هي شارحة له بوصفها الوحي الثاني أو حتى النظر في مدلول اللفظ العربي الوارد بها والإلتفات إلى الماضي السحيق والبحث في ركام التاريخ البشري عن معنى آية أو سورة أو قضية ما . فهل أمرنا الله بهذا ؟ وهل كلّفنا به سبحانه ؟ وكأن الله تعالى ما دعا لقراءة كتابه ولا حثّ على تدبّر آياته ودراستها وتعقّلها حتى يتبين هداها ويتلقّى وحيها لكي تتوضح للأمة معالم الطريق.. وليستبين سبيل المجرمين...

وإذا سألتهم عن سبب حصر تفسير الآيات في ماضي الزمان.. وفيما هذا الإعتماد على التاريخ ؟ قالوا لكي يكون في قصص الماضين عبرة وعظة . هذا صحيح ولكن أليس في القرآن غنى عن غيره ؟ ألم يجعله الله تفصيلا لكل شيء ؟ ألم يقل عنه سبحانه  ما فرّطنا في الكتاب من شيء الأنعام /38 .

وحين أخبر عن قصص الماضين قال :

 لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب . ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون  يوسف /111.

وليت شعري إذا كان :

إن هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون النمل/76 . أفيعجز عن أن يبين للناس أقل ما كانوا فيه مختلفين؟. وهل يمكن أن تكون التوراة فيها تفصيل لكل شيء حين كانت هدى ونورا.. وقد أنزلت لكي يحكم بها النبيون للذين اسلموا من بني إسرائيل.. ولا نجد في القرآن وهو المهيمن على كلّ الكتب التي سبقته تفصيلا لكل شيء وهدى للناس ورحمة لقوم يؤمنون...؟ " .( [[127]](#footnote-126) )

وعليه فسنأخذ مثالا نبين فيه هذه القضية. قضية تفسير القرآن المعتمد على التاريخ وخاصة الماضي منه دون الرجوع إلى الضوابط والأصول التفسيرية التي ينبغي أن يعتمد عليها في فهم الآية وتفسيرها .

أورد الطبري في تفسيره .( [[128]](#footnote-127) ) للآيات المتعلّقة بإفسادي بني إسرائيل في صدر سورة الإسراء روايات ظهر من خلال التحقيق والبحث والدراسة أنها روايات إسرائيلية وموضوعة لا يشك فيها من كان عنده أدنى معرفة بالحديث ـ على حدّ قول ابن كثير في تفسيره حيث قال " وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث ، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته وقد صرّح شيخنا الحافظ العلاّمة أبو الحجاج المزّي رحمه الله بأنه موضوع مكذوب وكتب ذلك على حاشية الكتاب .( [[129]](#footnote-128) )

وتعقيباً على نقد ابن كثير لابن جرير الطبري لما ساق الحديث أقول:

"لقد كان من منهج أهل العلم أنهم كانوا يأتون بجميع الأقوال التي وصلت إليهم في تأويل آيةٍ ما . وان كان فيها الصحيح والضعيف كمرحلة أولى ، ثم يأتي بعد ذلك تنقيح تلك الروايات وتلكم الأقوال . ولما كان ابن جرير الطبري - رحمه الله - قد جمع ولم ينقح فإنه لم يشر في أي موطن من تفسيره إلى صحة جميع ما ورد فيه من أخبار.

قلت: وهذا هو الثابت في منهج الإمام الطبري في تفسيره. أن يورد كل ما وصل إليه تاركا تنقيح الروايات إلى من يقرأ أو يأخذ عنه، فلكم تمنيت أن لو نقّح فاسقط ما لا قيمة له ابتداء وأثبت الصحيح فأتم واختصر وأراح واقتصر. وأثيب ضعفين.

وفي هذا يقول الذهبي :

" ثم إن ابن جرير وان التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها إلا أنه في

الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف".( [[130]](#footnote-129) )

غير أن من جاء بعده لم يورد كل ما وجد وإنما أورد بعض ما رآه راجحاً وترك غيره ، كما فعل ابن كثير حيث قال "وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أرَ تطويل الكتاب بذكرها. لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم. ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً. ونحن في غنيةٍ عنها ولله الحمد وفيما قصّ الله علينا في كتابه غنية عمّا سواه من بقيّة الكتب ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم .( [[131]](#footnote-130) )

كذا قال ابن كثير وفي كلامه نظر. إذ أن الطبري قد ساق مجموعة من الأخبار ، نعم فيها ما هو أصله ثابت من كلام أهل الكتاب مثل بعض روايات ابن إسحاق ووهب ابن منبه . لكنه كذلك أورد أخباراً أُخر عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد ابن جبير وابن المسيب فيها ما هو صحيح السند إلى قائله وفيها ما هو ضعيف السند إلى قائله كذلك .

ولقد أورد الطبري هذه الروايات الإسرائيلية بطولها واختلافها وتناقضها أحيانا وتناقلها المفسرون الذين جاؤوا بعده آخذين عنه كل حسب ما رآه مناسبا لمذهبه.( [[132]](#footnote-131) )

ويصل الأمر حتى إلى الذين تعرّضوا لتفسير هذه الآيات من المعاصرين مثل محمد سيد طنطاوي مثلا في رسالته ( بنوا إسرائيل في القرآن والسنة ) فقد اعتمد هو الآخر على ما أورده الطبري وغيره من روايات إسرائيلية وأقاصيص تاريخية لم ترق إلى المستوى المطلوب في فهم النص القرآني فذهب بعيدا حين ترك الإلتزام بالمنهج والأصول التفسيرية وما بني عليها من قواعد كانت كفيلة أن توصله إلى معاني النصوص القرآنية في أفقها الرحيب فانظر إلى ما توصل اليه بحثه في كتابه . [[133]](#footnote-132)

وكذلك ما نقل عن أهل الكتاب من طريق وهب بن منبه ومحمد بن إسحاق. في تصوير عقوبة بني إسرائيل زمن بختنصر.. وهذه العقوبة حين مقارنتها بما أورده من نصوص عن فترة الحكم الروماني وما تعرّض له بني إسرائيل في هذا العهد كله.. أكاد لا أجد ما يوافق قول السيد طنطاوي في هذا الشأن .

إذ أن المعطيات القرآنية لهذه الآيات إنما تقول لنا اليوم إن بني إسرائيل قد أظهروا الإفساد في الأرض واستكبروا على الله وكتبه وعلو على الناس علواً كبيراً.. فهل أنتم ( يا مؤمني الكرّة ) مؤهلون إلى أن تظهروا الإساءة على وجوههم وتدخلون المسجد كما دخله أسلافكم أول مرّة وأن تتبروا ما علو تتبيرا...؟ .( [[134]](#footnote-133) )

ونجد السيد محمد الطاهر بن عاشور ..بحرٌ من العلم .. صاحب التحرير والتنوير في التفسير … على نفس الطريق ...

حيث ينتقل بنا إلى فقرات من التأريخ البابلي والروماني ليقول أن هذه الأحداث التاريخية هي معنى هذه الآيات في صدر سورة الإسراء ثمّ يستشهد بإصحاحات التوراة في تفسير هذه الآيات . قال ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى:  لتفسدّن في الأرض مرتين  ما نصه:

"هذه الآية تشير إلى حوادث عظيمة بين بني إسرائيل وأعدائهم من أمتين عظيمتين ، حوادث بينهم وبين البابليين ، وحوادث بينهم وبين الرومانيين ، فانقسمت بهذا الاعتبار إلى نوعين:

نوع منها تندرج فيه حوادثهم مع البابليين ... والنوع الآخر حوادثهم مع الرومانيين ... فعبّر عن النوعين بمرتين ، لان كل منها تحتوي على عدّة ملاحم ..

فالمرّة الأولى -

هي مجموع حوادث متسلسلة تسمى في التاريخ بـ " الأسر البابلي " وهي غزوات " بختنصر " ملك بابل وآشور ، بلاد أورشليم ..

والغزو الأول كان سنة /600 قبل المسيح ، أسّر جماعات كثيرة من اليهود ويسمى \_الأسر الأول \_…

ثم غزاهم أيضاً غزواً يسمى \_الأسر الثاني \_ وهو أعظم من الأول .. كان سنة / 598 قبل المسيح واسّر ملك يهوذا وجمعاً غفيراً من الإسرائيليين ، واخذ الذهب الذي في هيكل سليمان.

الأسر الثالث سنة / 588 قبل المسيح ، غزاهم "بختنصر وسبى كل شعب يهوذا ، وأحرق هيكل سليمان . [[135]](#footnote-134) وبقيت أورشليم خرابا يبابا ...

وأما المرّة الثانية -

فهي سلسلة غزوات الرومانيين بلاد أورشليم .

قال ابن عاشور... ولم يعدهم الله في هذه المّرة إلا بتوقع الرحمة دون رد الكرّة فكان إيماء إلى أنهم لا ملك لهم بعد هذه المرّة .

وبهذا تبين أن المشار إليه بهذه المرّة الأخيرة هو ما اقترفه اليهود من المفاسد والتمرّد وقتل الأنبياء والصالحين والاعتداء على عيسى وأتباعه ، وقد أنذرهم النبي ملاخي في الإصحاحين الثالث والرابع من كتابه ، وأنذرهم زكريا ويحيى وعيسى فلم يرعووا... فضربهم الله الضربة القاضية بيد الرومان ... وذلك سنة /135 للمسيح.. وبذلك انتهى أمر اليهود وانقرض ، وتفرقوا في الأرض ولم تخرج أورشليم من حكم الرومان إلا حين فتحها المسلمون في زمن عمر بن الخطاب سنة / 16 هجرية ، صلحاً مع أهلها وهي تسمى يومئذٍ " إيلياء ".( [[136]](#footnote-135) )

إن من الواضح جداً اعتماد ابن عاشور في تفسيره لهذه الآيات - على النحو الذي نقلناه - على أمور هي في حقيقتها ليست من قواعد التفسير بقدر ما هي أمور اجتهادية في مجال التفسير بالرأي . ومن خلال النظر إلى هذه الأمور يتبين لنا أن الآيات التي جاءت في سورة الإسراء بخصوص إفساد بني إسرائيل في الأرض مرتين لا علاقة لها بغزوات البابليين ولا بنكبات الرومانيين .. إذ أن تعرّض البابليين والفارسيين والنبطيين والكنعانيين من قبل والرومانيين من بعد وكل من سُلّط عليهم عبر تاريخهم الطويل في القديم وفي الحديث كذلك - ممن لم يتصف بالصفات التي حددتها الآيات وحصرتها فيمن سيتعرضون لبني إسرائيل - كل أولئك إنما هم داخلون في حدود معنى ( **مَنْ** ) الواردة في قوله تعالى :

 وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة - مَنْ - يسومهم سوء العذاب  الأعراف/167. إن هذا قانون ... قانون عقوبة خاص ببني إسرائيل ، جارٍ ومهيأ في أي زمان افسدوا فيه وفي كل مكان تواجدوا فيه ، ولم يكن لعباد الله المخلَصين وجود فعلي وعضوي حيٌّ متحرك قائم بذاته له دولة وسلطان ) .( [[137]](#footnote-136) )

أما الآيات في سورة الإسراء فقد أخبرت بقانون ثان هو أيضاً قانون عقوبة خاص ببني إسرائيل وهو بعث عباداً لله خالصين مخلَصين أولي بأس شديد جاسوا خلال ديارهم قديماً وسوف يسوؤون وجوههم مستقبلاً ... ويدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة

وهذه الأمور سنبينها على شكل نقاط باختصار

أولاً / ـ عدم ذكره لما ذهب إليه المفسرون وانفراده بتفسير معين لهذه الآيات يدل على عدم اطمئنانه إلى ما قاله المفسرون في هذين الإفساد ين ومن بُعِثَ عليهم فيهما… ربما لوقوفه على ضعف تلك الروايات من ناحيتي السند والمتن وما نتج عنهما من شذوذ واضطراب واضح يمنع النفس من الارتياح إليها . بل لعلها كانت حجاباً لمعنى الآيات وشغلتهم عن وحيها الأصيل المقصود من خلال التعبير القرآني وفي ذلك يقول الشيخ رشيد رضا:

" إن أكثر ما روي في التفسير المأثور أو كثيره حجابٌ على القرآن وشاغلٌ لتاليه عن مقاصده العالية المزكية للأنفس ، المنورة للعقول ".( [[138]](#footnote-137) )

وقد عتب ابن عاشور نفسه على المفسرين الذين حصروا اعتمادهم على هذه الروايات في تفاسيرهم فيقول: " ولكني لا أعذر أساطين المفسرين الذين تلقفوا الروايات الضعيفة فأثبتوها في كتبهم ولم ينبهوا على مراتبها قوة وضعفاً حتى أوهموا كثيراً من الناس أن القرآن لا تنزل آياته إلا لأجل حوادث يدعو إليها .. وبئس هذا الوهم ، فان القرآن جاء هادياً إلى ما به صلاح الأمة ".( [[139]](#footnote-138) )

ونحن أحق بالعتاب عليه فيها ولا نعذره عليها لا لشيء إلا لجلالة قدره وسعة علمه كما يشهد بذلك تفسيره القيم في مواضع كثيرة - غير هذا الموضع ـ في القرآن كله .

ثانياً / ـ الأمر الثاني هو أنه لم يأت بدليل واحد على أن المقصود من المرّتين في الآية هي هاتان الفترتان من غزوات البابليين والرومانيين . لا من القرآن ولا من السنة وإنما الذي اعتمد عليه في تفسيره لهاتين المرتين هو الاستقراء التاريخي لماضي بني إسرائيل ولما جاء في التوراة فيما يخص هذا التاريخ .( [[140]](#footnote-139) )

وهي هي النظرة إلى الآيات من زاوية الماضي وحصرُ معانيها فيه .. بحيث أنه وإن لم يتابع المفسرين في قبول وتبني الروايات والآثار الإسرائيلية التي أخذها بعض الصحابة أو نقل إلينا أنهم أخذوها عنهم . وكذلك التي أخذها التابعون مشافهة عن أهل الكتاب ثم بعد ذلك كانت عند أهل التفسير أقوالاً تناقلها المفسرون خلفاً عن سلف - على النحو الذي رأينا - دون تمييز بين صحيح أو ضعيف ...

أقول إنه على الرغم من عدم متابعته للمفسرين في هذه الروايات إلا أنه تابعهم في الاعتماد على أقوال وتأويلات أهل الكتاب بصورة غير مباشرة وذلك في حالتين ..

**الحالة الأولى -** اعتماده على الاستقراء التأريخي لحوادث ونكبات تعرض لها بنو إسرائيل - ومن ثم حمل معنى الآيات عليها .

**الحالة الثانية -** اعتماده على ما جاء في التوراة والتلقي منها مباشرة - على الرغم من العلم المسبق بتحريفها .. ومن ثم تفسير الآيات بها .

إن ذلك التصور المأخوذ من تأريخ بني إسرائيل .. وهذا المفهوم المأخوذ من التوراة لهو هو الأخبار الإسرائيلية نفسها وهو الأخذ عن أهل الكتاب ولكن

بإسلوب آخر..

فلئن كان بعض الصحابة والتابعين قد نقلوا أو أخذوا مشافهة تلك الأخبار ووصلت إلينا عن طريق المفسرين وكتاب التاريخ المتقدمين فإن بعض المفسرين المتأخرين من أخذها من كتب التاريخ التي كان من مصادرها علم أهل الكتاب وكذلك آخذوها من التوراة مباشرة والتي كانت المصدر الأمثل لعلم من أسلم من أهل الكتاب قبل أن يسلم.

إن من المعلوم أن لتفسير القرآن منهجاً رسمه النبي  وسار عليه من جاء بعده من الصحابة والتابعين لهم ، هو أن يفسر القرآن بالقرآن فإن لم نجد فبالسنة ثم بالاجتهاد والاستنباط على أساس الرجوع إلى المفردة اللغوية ومعرفة معانيها دون الاقتصار على معنى واحد .( [[141]](#footnote-140) )

أما أن يفسّر القرآن بإصحاحات التوراة والنكبات التي نزلت على أهلها ؟ فان ذلك غير صحيح كما أعتقد .

**الأمر الثالث** هو مخالفة تفسيره لهذه الآيات الحقائق التاريخية والمعطيات القرآنية التي أوحت وتوحي به هذه الآيات القرآنية .

**الثاني :** الالتزام بالضوابط التفسيرية والاعتماد على الأصول التي أقرت كمنهج علمي ينبغي أن يسلك للوصول إلى المعنى المراد من النص عن طريق الدراسة والتحقيق والاستنباط وهي الحالة التي عبّر عنها القرآن بـ " بالمكث التدبّر والتفهم " في كثير من آياته كقوله تعالى  وقرءانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث  الإسراء / 106 . وقوله  أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها  محمد / 24 . وقوله:

 إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلّكم تعقلون  يوسف / 2. فلو أن علماء التفسير أوضحوا هذه المعاني وأفهموها الناس وقرّبوا أليهم إدراك المراد من النص وربطوهم بالقرآن من خلال مدارسته وتدبّره وعدم التعجّل بتلاوته حتى يقضى إلى كلّ قارئ وحي القرآن وهو المراد والمأمور به في قوله تعالى :

: ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه  فقال بعدها مباشرةً

 وقل ربي زدني علما  طه / 114 .

والأنموذج الخامس / الأمثل : التفسير التحليلي المنضبط:

المثال على التفسير المنضبط تفسير قوله تعالى :  وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا الإسراء / 76.

هذه الآية الكريمة نستطيع أن نجعلها الميزان الدقيق الذي نرى من خلاله الإلتزام المنضبط بالقواعد والأصول التفسيرية والتي ينبغي على المفسّر أو المتعرّض للتفسير أن يجعل منهجه التفسيري على وفق هذه القواعد والأصول حتى لا يخرج من حدود الإنضباط إلى مطبّات القول على الله بغير علم ولا هدى فما دام هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم فلماذا أتهدّى سبيل التائهين من المغضوب عليهم أو الضالين من الغابرين .

فالإستفزاز في اللغة هو الإزعاج كما صرّح بذلك علماء اللغة ومنهم الأصفهاني حيث قال في مفرداته : " قال تعالى :

 واستفزز من استطعت منهم بصوتك  أي : أزعج .

 فأراد أن يستفزهم من الأرض  أي يزعجهم ، وفزني فلان : أزعجني .( [[142]](#footnote-141) )

فالإستفزاز من الأرض هو محاولة الإخراج منها على وجه الإزعاج والشدّة والإرغام . قال تعالى حكاية عن فرعون :  فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه .. ومن معه جميعاً.. وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً  الإسراء /103-104.

قال أهل التفسير بالمأثور في تفسير هاتين الآيتين ما ملخصه.

1/ إن معنى الاستفزاز من فرعون لموسى وقومه هو الإخراج من أرض

مصر إما بالقتل أو بالإبعاد.

2 / اختلفوا في المقصود من الأرض  في قوله:

** يستفزهم من الأرض**

فقال بعضهم هي أرض مصر.. وقال البعض الآخر هي الأردن و فلسطين ومصر.

3 / وكذلك اختلفوا في  الأرض  التي في قوله :  اسكنوا الأرض فقال

بعضهم هي أرض الشام وقال آخرون هي فلسطين وقيل أرض وراء الصين أو هي أرض مصر والشام ..

4 / وقالوا عن معنى  وعد الآخرة  هي : يوم القيامة .

5 / وقالوا عن معنى لفيفا**ً**  أي : جميعاً أنتم وأعدائكم .

ومن جهة نظر بعض المفسرين ممن يقولون بأن وعدي العقوبة على بني إسرائيل هما ليسا قبل الإسلام وإنما بعده لهم نظرة أخرى في تفسير هذه الآية أكثر موضوعية وشمولية ومطابقة للواقع .

ولتوضيح هذه القضية التي أجد أن لها أهمية كبيرة في تأصيل كل ما سبق التوصيل إليه أورد ما قاله المفسرون حول هذا الموضوع باختصار في قوله تعالى :  فأراد أن يستفزهم من الأرض  .

يقول القرطبي : " أي أراد فرعون أن يخرج موسى وبني إسرائيل من أرض مصر إما:

1/ بالقتل .

2 / بالأبعاد فأهلكه الله عز وجل ".( [[143]](#footnote-142) )

وقال ابن كثير:" أي يخليهم منها أو يزيلهم عنها ".( [[144]](#footnote-143) )

ويورد الإمام ابن الجوزي قولين في قوله :  فأراد أن يستفزهم  فيقول :

" وفي معنى - يستفزهم - قولان..

أحدهما: يستأصلهم.. قاله ابن عباس .

الثاني : يستخفهم حتى يخرجوا.. قاله ابن قتيبة.. ويضيف..

وقال الزجاج: جائز أن يكون استفزازهم إخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية.( [[145]](#footnote-144) )

ويفسر الإمام الآلوسي  **يستفزهم**  بأن :" أصل الاستفزاز الإزعاج وكنى به عن إخراجهم من الأرض أي : مصر التي هم فيها أو من جميع الأرض ويلزم إخراجُهم من ذلك قتلهم واستئصالهم وهو المراد " .( [[146]](#footnote-145) )

وقال القاسمي كذلك :" أي يفزعهم ويزعجهم بما يحمله على خفة الهرب فرقا منه ، أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل و الاستئصال " .[[147]](#footnote-146)

ويبين الماوردي أخيراً أن في معنى  يستفزهم  وجهين : أحدهما - يزعجهم منها بالنفي عنها . قاله الكلبي . الثاني - يهلكهم فيها بالقتل .( [[148]](#footnote-147) )

من مجموع كل ما سبق نخلص إلى قولين قصدهما المفسرون:

الأول - إبعاد فرعون لموسى ومن معه من بني إسرائيل من أرض مصر التي كان يحكمها خشية أن ينتشر دين موسى بين قومه ويؤمنوا به فلا يبقى له من ملكه شيء.

الثاني- معنى الاستفزاز هو قتل موسى ومن معه من المؤمنين به واستئصالهم من الأرض والقضاء عليهم خشية انتشار دينه ودمار ملكه … ونحن نرجح السبب الثاني وهو إرادة إهلاك موسى ومن معه بالقتل والاستئصال من الأرض وليس مجرد الاكتفاء بإبعادهم أو إزعاجهم بالنفي عن أرض مصر كما قال بعض المفسرين … وقد بنينا هذا الترجيح على عدّة أمور . . هي:

أولا - إن معنى الاستفزاز كما يقول أهل اللغة هو ( الانزعاج )

تقول :" فزني فلان أي أزعجني " .( [[149]](#footnote-148) )

وقد كني به هنا عن القتل لما في القتل من الانزعاج الكثير ، وقد أريد به هنا القتل والاستئصال كما قال بذلك الإمام الآلوسي وغيره من المفسرين.( [[150]](#footnote-149) )

ثانياً - لو كان قصد فرعون من استفزاز موسى هو إبعاده عن أرض مصر باستخفافهم ليخرجوا هرباً ، يريد نفيهم عنها لما كان هناك داع إلى أن يتبعهم بجنوده مصبحين أو على أبعد احتمال أنه حين رأى من انفلاق البحر وعبور موسى ومن معه إلى الجانب الثاني أن لا يدخل في ذلك الموقف الرهيب خشية أن ينطبق عليه البحر ولعاد أدراجه بعد ما علم أن موسى لا يحارب وحده وإنما بتأييد الله له من خلال الآيات التي جاء بها ومن خلال وقوف شقي البحر لأجل أن يعبر هو وبنو إسرائيل ولقال ما دام قد عبر وانتهى فقد أمنت شره .

أن دخول فرعون خلف بني إسرائيل دليل على إصرار فرعون في القضاء على موسى ومن معه بالقتل والإبادة لأنه يعلم وتلك ميزة الطغيان في كل زمان ومكان انه لا يمكن أن يقر له قرار وفي الأرض من يقول لا اله إلا الله !!

إن قبساً واحداً كفيل بأن ينير ظلمات كثيرة فكيف لو كان ذلك مشعلاً من كلمة التوحيد انه أما أن يقضي الباطل على حملة الحق وإلا فلا أمان له ولا اطمئنان ...

وكل ذلك واضح من التصوير الفني الجميل الذي تجده في هذه الآيات

** وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون فأرسل فرعون في المدائن حاشرين إن هؤلاء لشرذمة قليلون ، وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون ... فأتبعوهم مشرقين، فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال كلا ..إن معي ربي سيهدين، فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر... فأنفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وأزلفنا ثم الآخرين، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين، ثم أغرقنا الآخرين** **** الشعراء /52-66.

إنها لم تكن يوماً صرخة في واد أو نفخة في رماد وإنما هي طبائع الاستبداد...لا يرضى الباطل إلا أن يزهق الحق ويستفزّ أصحابه كي تخلو له الأرض … وصدق الله :  يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون  التوبة/32.

ولقد ابرز القرآن هذه الحقيقة في كيد المشركين و اليهود برسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاولة استفزازه من الأرض في سورة الإسراء عند قوله تعالى :

** وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ... ليخرجوك منها ... وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلا**  .

فلقد أورد المفسرون فيها عدّة أقوال نذكرها باختصار شديد لأهميتها هنا... قال الإمام الجليل ابن الجوزي في تفسيره :

" قوله تعالى :  وان كادوا ليستفزونك من الأرض  في سبب نزولها قولان:

**أحدهما:** إن رسول الله  لما قدم المدينة ، حسدته اليهود على مقامه بالمدينة ، وكرهوا قربه ، فقالوا: يا محمد أنبيٌ أنت؟ قال: نعم ، قالوا: فوالله لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء وإن أرض الأنبياء الشام ، فإن كنت نبياً فائت الشام ، فنزلت هذه الآية ، قاله أبو صالح عن ابن عباس.( [[151]](#footnote-150) )

وقال سعيد بن جبير: همّ رسول الله أن يشخص عن المدينة ، فنزلت هذه الآية... وقال عبد الرحمن بن غنم: لما قالت اليهود هذا ، صدّق ما قالوا ، وغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك ، نزلت هذه الآية ...

**الثاني -** أنهم المشركون أهل مكة همّوا بإخراج رسول الله  من مكة فأمره الله بالخروج وأنزل هذه الآية إخباراً عما همّوا به ، قاله الحسن ومجاهد...

وقد علق الإمام ابن الجوزي على هذين القولين بقوله: " فعلى القول الأول ، المشار إليهم... اليهود... والأرض: المدينة .. وعلى الثاني: هم المشركون ، والأرض : مكة ) . ثم قال : وقيل: المراد به ها هنا: القتل ، ليخرجوه من الأرض كلها .. روي عن الحسن .[[152]](#footnote-151)

والذي يهمنا في هذا الموضع معرفة المقصود بـ ( الاستفزاز ) ؟ .

أهو الإخراج من البلد ؟ فيكون نفيا . أم القتل .. ؟ فيكون إخراجاً من الأرض . ؟؟؟ لنعرف من ثم..

هل المقصود بالأرض البلد الذي كان يعيش فيها النبي  حين نزلت هذه الآية أو التي كانت تعنيها الآية ...؟ .

أم الأرض هنا المقصود بها الجنس… أي كل الأرض ؟ .

اضطربت أقوال المفسرين في تعيين المراد وقد يحق لهم ذلك فإن هذا يحدث عندما تَرِد عدّة روايات لسبب نزول آية ما ، كهذه الآية مثلاً .

فلقد أورد الواحدي في " أسباب النزول " ثلاثة أقوال عن سبب نزول هذه الآية :

**الأول :** عن ابن عباس .. 

**الثاني :** عن عثمان  في اليهود ..

**الثالث :** عن مجاهد وقتادة والحسن  أنهم أهل مكة .( [[153]](#footnote-152) )

فأي هذه الأقوال هو الصحيح ؟؟

ويحدث هذا الاضطراب عندما لا يُستَقرَأ التأريخ استقراءً صحيحاً كما قدّمنا من قبل ففي هذا الموضع نجد الإمام الآلوسي في معرض تفسيره لهذه الآية يقول: " وكان الاستفزاز بما فعلوا من حصره  في الشعب والتضييق عليه  "...

ثم يقول : ووقع ذلك بعد نزول الآية - كما في البحر - وصار سبباً لخروجه  مهاجراً " .( [[154]](#footnote-153) )

فكيف يكون هذا ؟ إذا كانت الآية مدنية ؟ ـ من المعلوم أن هذه الآية مختلف فيها أهي مكية أم مدنية والآلوسي يقول أنها مدنية .( [[155]](#footnote-154) )

وهجرة النبي  حدثت بسبب إخراج الكفار له بما فعلوا من حصره والتضييق عليه فكيف يقول :" ووقع ذلك بعد نزول الآية ؟" .

وإذا كانت الآية مكيّة نزلت بعد حادثة الإسراء التي كانت قبل الهجرة بسنة على الخلاف في ذلك وحادثة حصره  في الشعب حدثت في بداية الدعوة كما هو ثابت تاريخيا . يقول ابن كثير :" كان وقت حصار المشركين لرسول الله  ومن معه من المؤمنين في الوقت الذي هاجر فيه المسلمون إلى الحبشة " .( [[156]](#footnote-155) )

فكيف يقول ووقع ذلك بعد نزول الآية وصار سبباً لخروجه  مهاجراً ؟ وقد آليت على نفسي أن ابحث هذه القضية … فوجدت أن النبي  قد تعرّض لمحاولة الإخراج من مكة سواء عن طريق الكيد والتبييت لإخراجه بالقوة أم عن طريق التضييق وقد أخبر القرآن بهذا صراحة بقوله تعالى :

 وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين  الأنفال/30 .

وكان هذا إخباراً عمّا مكروه في دار الندوة .. ثم تحقيق هذا المكر عن طريق التضييق ومحاولة قتله صلى الله عليه وسلم بدلالة الآية نفسها وبدلالة قوله تعالى :

 إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا…  التوبة/40 .

وقوله تعالى **:** وكأين من قرية هي أشدُّ قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم  محمد/13 .

أقول فأن كلتا المحاولتين قد وقعتا للنبي  من كفار مكة قبل الهجرة .. ثم إن كلتا المحاولتين وقعتا كذلك له من اليهود في المدينة يوم طلبوا منه الخروج إلى

الشام كما ذكرنا آنفاً وحين حاول يهود بني النضير إلقاء صخرة على النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : " وخلا بعضهم وهمّوُا بالغدر، وقال عمرو بن جحاش النضري: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة وكان رسول  واقفاً إلى جنب جدار من بيوتهم " .

وكذلك في محاولتهم سمّ النبي  المعروفة .( [[157]](#footnote-156) )

والذي أُريد أن أخلص إليه.. هو أن النبي  تعرّض لمحاولة القتل والإخراج حين كان في مكة وتعرّض لهما أيضاً يوم كان في المدينة فأيهما كان المقصود بالاستفزاز أهو الإخراج ؟ أم القتل ؟ وللإجابة عن هذا السؤال أقول :..

إنه بالإضافة إلى ما تقدّم فإن معرفة العقوبة التي قدّرها الله للاستفزاز تُعينُ على معرفة المقصود بالاستفزاز.. فالآية تقول..

** وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها.. وإذاً لا يلبثون إلا قليلاً... سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ** الإسراء/76

فالعقوبة إذاً كما قال الآلوسي هي :" وعيد لهم بإهلاك مجموعهم من حيث هم مجموع " .( [[158]](#footnote-157) )

وقال عنها ابن الجوزي :" لاستأصلناهم بعد خروجك بقليل " ..

وقال بعد ذلك : قال الزجاج : " لم يلبث العذاب أن ينزل بهم ". ( [[159]](#footnote-158) )

أقول:…

وقد ثبت الإخراج من كفار مكة للنبي  يوم كان بمكة كما بينا قبل قليل بدلالة القرآن وشهادة الواقع وكما ثبت ذلك في المدينة فلم ينزل العذاب ولم يكن الاستئصال كما قال المفسرون ...

فدّل ذلك على أن المقصود بالاستفزاز هو القتل الذي لم يقع ولكنه - كاد أن يقع لولا أن الله عصمَ نبيّه من الناس - كاد - التي قال عنها الآلوسي : "

تدل على مقاربته.. لا على حصوله " .( [[160]](#footnote-159) )

أي الفعل - وهذا ما حدث فعلاً عندما  كادوا  أن يقتلوه  تنفيذاً لمكرِهم في دار الندوة . وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك  الأنفال / 30. وقد فعلوا ذلك ووقفوا ببابه يحملون سيوفاً صارمة ليضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل...

ومثل هذا  كادوا  أن يقتلوه  بصخرةٍ - يوم أن كان بين ديار اليهود..

ولقد عبّرت الآية أصدقَ تعبير في أجلى تصوير حين قالت :

 وإن كادوا... ليستفزونك من الأرض  - أي كادوا أن يقتلوك –

 ليخرجوك منها - بالقتل - وليس بالأبعاد والإخراج من مكة أو من المدينة ...إنما من الأرض كلّها .

وقد أشار الإمام ابن الجوزي في تفسيره إلى هذا بقوله : " وقيل: المراد به ها هنا: القتل ، ليخرجوه من الأرض كلها. وقال روى ذلك عن الحسن ".( [[161]](#footnote-160) )

وهو ما أوردهُ الآلوسي في تفسيره كذلك بقوله:" وحكى الزجاج إن استفزازهم ما أجمعوا عليه في دار الندوة من قتله  ...

والمراد من الأرض وجه البسيطة مطلقاً ، ثم أضاف وقال أبو حيان.. المراد على هذا الدنيا.." .( [[162]](#footnote-161) )

وبهذا يكون التوافق واضحاً وأصيلاً بين قوله تعالى :

 فأراد أن يستفزهم من الأرض  أي يقتلهم ويستأصلهم من الأرض ، وبين قوله تعالى :  وإن كادوا ليستفزونك من الأرض أي يقتلوك ويستأصلوك من الأرض .

وفي هذا يقول صاحب الأساس في التفسير:

" **فأراد أن يستفزهم من الأرض** بقتلهم واستئصالهم ... وأصل الاستفزاز من الأرض الإخراج ، والقتل خروج للروح من الأرض "... وقال في موضعٍ آخر مبيناً سبب تأخر ذكر قوله تعالى :

 **فأراد أن يستفزهم من الأرض**  أنها فسّرت الآية الأولى ـ أي قوله تعالى :  **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض**  .

قلت :

وهذا من تفسير القرآن بالقرآن كما سيأتي ـ إذ الاستفزاز هنا هو القتل ، فصار معنى تلك الآية وأنهم كادوا أن يقتلوك ليخرجوك من الأرض ، وإذن يستأصلهم الله بعدك لو فعلوا ".( [[163]](#footnote-162) )

وهذا هو الصحيح... وإلا لو كان المعنى هو - الإخراج والإبعاد - الذي وقع والذي قال عنه بعض المفسرين أنه لم يقع من كفار مكة... وإنما بأمر الله له كما نقل الإمام ابن الجوزي عن قتادة قوله :

" همّ أهل مكة بإخراجه من مكة ولو فعلوا ذلك ما نوظروا ولكن الله كفّهم عن إخراجه حتى أمره بالخروج "..( [[164]](#footnote-163) )

فسبحان الله .. كيف وقد قال الله تعالى صراحة :

 وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك  محمد/13.

ولكنه حين لم يقع القتل الذي كان هو المقصود بالاستفزاز من الأرض لم يقع الهلاك والاستئصال الذي هو عقوبة من يقتل أنبياء الله تعالى ..

وبناء على هذا نقول...

بما أنه قد ثبت أن الاستفزاز معناه: القتل وهو الخروج من الأرض - أي بالموت من الدنيا ، كان معنى الأرض في قوله :

 فأراد أن يستفزهم من الأرض  .

وفي قوله تعالى :  وان كادوا ليستفزونك من الأرض... هي :

" الأرض مطلقاً " أي - وليس كما قيل أنها مصر أو الشام أو أرض وراء الصين ... .

وهذا هو الصحيح كما قال القرطبي في تفسيره . [[165]](#footnote-164)فانظره في : (10/338). وليس هي كما قال الطبري من أنها الشام .( [[166]](#footnote-165) )

أو هي مصر( [[167]](#footnote-166) ) .

أو هي كما قال ابن الجوزي فيها ثلاثة أقوال :...

أحدها: فلسطين والأردن ، قاله ابن عباس .

الثاني: أرض وراء الصين ، قاله مقاتل .

الثالث: أرض مصر والشام.... ( [[168]](#footnote-167) )

وقد اعتمدت هذا القول إضافةً إلى ما سبق - على أمرين هما:

الأول - ما قال به أهل العلم في التفسير في رد المعنى إلى اقرب مذكورين قد تحقق هنا دون إخلال بالمعنى كما ثبت لدينا.

الثاني - إن الله تعالى قصّ علينا في سور أخرى خبر بني إسرائيل وأنهم لم يسكنوا أرض مصر حيث توجه بهم موسى إلى الأرض المقدسة بعد إغراق فرعون ومن معه ... ولا هي أرض الشام لأن الأرض التي أمروا أن يدخلوها هي الأرض المقدسة التي حُرّمت عليهم بعد ما أبوا أن يدخلوها حين قال لهم موسى :

 يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا المائدة/21...

فارتدوا وقالوا :

 إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها المائدة/22 .

ثم كانت النتيجة أن العقوبة كانت :  فإنها محرمة عليهم  المائدة/26.

حرمة أبدية جزاءا وفاقا لأنهم قالوا  إنا لنّ ندخلها أبدا  المائدة /22. فكيف يسكنون أرضاً صدر الأمر الإلهي بتحريمها عليهم حرمة أبدية عقوبة لهم... والمدّة المذكورة في قوله تعالى  أربعين سنة يتيهون في الأرض  إذا هي للتيه وليست للتحريم كما هو واضح . [[169]](#footnote-168)

إن العقوبة التي قدرها الله لبني إسرائيل هي ما ذكرناها آنفاً من أن الله قد جعلهم أمماً ممزقة تعاني الشتات في الأرض ـ كل الأرض ـ بين الشعوب فقال تعالى :  وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمما . الأعراف/160 .

وقال تعالى :  وقطّعناهم في الأرض أمماً  الأعراف/168. وهذا ما يؤيده الواقع عبر الزمان في كل مكان.

فالأرض التي أمروا بسكناها هي الأرض مطلقاً على شكل أمم تعاني الشتات والذلة بين الأمم  ملعونين أين ما ثقفوا  الأحزاب/61.

وتبرز الحكمة من وراء ذلك عند إكمال الآية إذ يقول القرآن :

** وقلنا من بعده**- أي من بعد إغراق فرعون ** لبني إسرائيل** اسكنوا الأرض  أي : كل الأرض  فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً . أي من كلّ الأرض .

وانظر ماذا قال علماء اللغة والتفسير في معنى  **اللفيف**  واستعمال هذا اللفظ الفريد في هذا الموضع فيه من الإعجاز القرآني العجيب والذي - ربما - لا يؤدي مؤداه أي لفظ آخر.. هذه المفردة التي تمثل بحد ذاتها إعجاز يتعاظم من يوم أن نزلت هذه الآيات إلى هذا اليوم الذي أصبح فيه هذا الإعجاز الخبري واقعا ملموسا . فمن خلال ما قاله المفسرون وعلماء اللغة فيما يحمله من معان يتبين لنا بعض وجوه ذلك الإعجاز...

فأنظر.

إن الخطاب هنا موجه إلى بني إسرائيل على جهة الخصوص والنداء إليهم بتسميتهم : **وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ** فلا يدخل غيرهم في هذا النداء الذي خصص لهم..

 **فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً**  الإسراء/ 104.

\* **/ من المفسرين من قال إن معنى ** لفيفاً ** أي جميعاً . وبذا قال الطبري عن ابن عباس وقتادة والضحاك السمرقندي ومجاهد وابن الجوزي وابن كثير والآلوسي** **. ( [[170]](#footnote-169) )**

\* / ومنهم من قال إن  **لفيفاً**  فيها تأويلان:

**أحدهما -** مختلطين لا تتعارفون ـ قاله رزين .

**الثاني -** جئنا بكم من جهات شتى ـ قاله ابن عباس وقتادة ،

مأخوذ من لفيف الناس .( [[171]](#footnote-170) )

\* قال القاسمي في معنى :  **لفيفا**ً  أي ( جميعاً مختلطين أنتم وعدوكم ) .( [[172]](#footnote-171) )

\* / وقال عن معناه صاحب صفوة البيان :

" اللفيف اسم جمع لا واحد له من لفظه ، ومعناه " الجماعة من قبائل شتى " .( [[173]](#footnote-172) )

\* / ويقول ابن عاشور :" واللفيف الجماعات المختلطون من أصناف شتى " .( [[174]](#footnote-173) )

\* / أما صاحب لسان العرب فيفسر هذا اللفظ أيما تفسير فيقول :

" جمع لفيف: مجتمع ملتف من كل مكان. واللفوف - الجماعات . واللفيف - القوم يجتمعون من قبائل شتى ليس أصلهم واحد .. وجاؤوا ألفافاً أي لفيفاً..

واللفيف - ما أجتمع من الناس من قبائل شتى ...

قال أبو عمرو:

اللفيف .. الجمع من أخلاط شتى فيهم الشريف والدنيء والمطيع والعاصي والقوي والضعيف .. قال الله عز وجل :  **جئنا بكم لفيفاً**  أي أتينا بكم من كل قبيلة ..

وفي الصحاح : " أي مجتمعين مختلطين .. يقال للقوم إذا اختلطوا ـ لفٌ ـ ولفيف

\* / وقال أبو حيان الأندلسي :"

 **لفيفاً**  أي منضماً بعضكم إلى بعض " .( [[175]](#footnote-174) )

\* / واللف.. الحزب والطائفة .. من الالتفاف ، وجمعه ألفاف والتف الشيء تجمع وتكاثف..

\* / قال الجوهري:" لففت الشيء لفاً ولفّفته.. شدد للمبالغة وفلان لفيف فلان أي صديقه " .( [[176]](#footnote-175) )

ويورد الإمام ابن الجوزي قولين غير السابق أحدهما للفرّاء والآخر للزّجاجّ فيقول:

\* / وقال الفراء : لفيفاً ـ أي من هاهنا ومن هاهنا..

\* / وقال الزجاج: اللفيف ـ الجماعات من قبائل شتى " . ( [[177]](#footnote-176) )

ومن المحدثين الشيخ سعيد حوى في أساسه حيث قال : أي جميعاً إلى فلسطين .( [[178]](#footnote-177) )

فهي إذا مدة انتظار يسكنون فيها في كل الأرض حتى يجئ وعد الآخرة - وعد العقوبة الثانية على إفسادهم الثاني واستعلائهم فيه عند ذلك سنجيء بكم من كل الأرض – لفيفاً ...

**أقول وأسأل :**

هل رأي التأريخ يوماً جماعات من قبائل شتى ليس أصلهم واحد ... جاؤوا من جهات شتى ، وهم مختلطون من أصناف شتى ، فشكلوا جمعاً عظيماً من أخلاط شتى ، فيهم الشريف والدنيء والمطيع والعاصي والقوي والضعيف ،من ها هنا و ها هنا ، فشكلوا أحزاباً وجماعات ، منضماً بعضهم إلى بعض ، فكان منهم مجتمع مختلط هم وأعداؤهم ، وأمم مختلطون بعضهم مع بعض ، على شكل جماعات من قبائل شتى . إلى أرض مباركة ومقدسة وفي زمان واحد كزماننا؟؟؟

حملوا ذهب الأرض من كل الدنيا وجاؤوا وقد تركوا الحضارة والتقنية الحديثة إلى أرض يحجب ماؤها عن الزيتون لتسقى به أشجار الغرقد على كل التلال وخلف الأسوار والحصون .. فكانوا أكثر نفيراً منا وأكثر منهم فيما مضى.. فزعاً ونفيراً ؟؟. .. نفروا لينصروا الباطل الذي اجتمعوا عليه واستنفروا لنجدته تحقيقاً لوعد الله الذي قضاه وتطبيقاً لقدره الذي أنزله عليهم بالحق وبالحق نزل... انتهى .

وعليه فإن هذا النموذج في فن التعامل مع النصوص دراسة وتحقيقا وتحليلا وفق المنهج الأصولي من

1/ ردّ المعنى إلى القرآن نفسه من خلال جمع كل الآيات التي ورد اللفظ بها .

2/ الإستعانة بالأحاديث والروايات الصحيحة ، دون الاعتماد على الأحاديث الموضوعة وبمعزل عن الإسرائيليات .

3/ جمع أقوال العلماء والمفسرين والمحققين وأصحاب اللغة .

4/ دراسة الجو العام للآية في السورة التي وردت بها وبغيرها بتدبّر وفهم واستنباط .

كل هذا يوصل بالنتيجة إلى إدراك المعنى المراد إدراكا تاما .

وقد يسّر الله هذا القرآن للناس ** فهل من مدّكر** ؟؟؟

وانظر إلى ما يقوله ابن عاشور من كلام أصيل حتى لكأنه من وحي التنزيل وجدته كالصدى لما في نفسي وما استقر فيها وقد جرى على لسانه حين قال:

"هذا وان واجب النصح في الدين والتنبيه إلى ما يغفُل عنه المسلمون مما يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم. قضي عليّ أن أنبه إلى خطر أمر تفسير الكتاب والقول فيه دون مستند من نقل صحيح عن أساطين المفسرين أو إبداء تفسير أو تأويل من قائله إذا كان القائل توفرت فيه شروط الضلاعة في العلوم التي سبق ذكرها...( [[179]](#footnote-178) )

فقد رأينا تهافت كثير من الناس على الخوض في تفسير آيات من القرآن فمنهم من يتصدى لبيان معنى الآيات على طريقة كتب التفسير، ومنهم من يضع الآية ثم يركض في أساليب المقالات تاركاً معنى الآية جانباً، جالباً من معاني الدعوة والموعظة ما كان جالباً. وقد جلّت شواهد الحال على ضعف كفاية البعض. لهذا العمل العلمي الجليل.. فيجب على العاقل أن يعرف قدره، وأن لا يتعدى طوره. وأن يرد الأشياء إلى أربابها، كي لا يختلط الخاثر بالزباد، ولا يكون في حالك سواد.

وان سكوت العلماء على ذلك زيادة في الورطة، وإفحاش لأهل الغلطة، فمن يركب متن عمياء، ويخبط خبط عشواء، فحق على أساطين العلم تقويم اعوجاجه، وتمييز حلوه من أُجاجه .( [[180]](#footnote-179) )

ـ قلت : لعله قصد اؤلئك الذين قالوا شططا في تفسيرهم لآيات القرآن دون أن يكون لهم مستند لشروط وأصول التفسير كأصحاب التفسير الباطني من غلاة الشيعة والتفسير الإشاري من غلاة الصوفية ومن اعتمدوا على ما بلغهم عن أهل الكتاب وحصروا تفسير كتاب الله في زاوية الماضي من التاريخ أو الزائغ من الفكرة أو ما انحرف من الاعتقاد كتفاسير المعتزلة والفلاسفة والروافظ وأشباههم.

ولكم تمنيت أن تخصّ كتب التفسير بدراسات مكثفة تمحيصا وتنقية وبيانا وتقدم للأمة لا تخاف منها ومعها أن تكون ـ في أغلبها ـ حجابا على التفسير أكثر منها تفسير فما أنت واجد في الكثير منها رابطا قويا يربطك بالله ويقوي صلتك به من حيث أنك تقرأ الآية التي تهزّ الجبال بل لخشعت وتصدعت لو أنزلت عليها من خشية الله ، وقد يكون لها بعض التأثير على قلبك وروحك حين تقرأها مجردة عن التفسير فحين تقرا تفسيرها في بعض كتب التفسير التي لم تنضبط بالنهج الأصولي انضباطا تاما لم تجد لها في نفسك ذلك التأثير وكم من آية فسّرت للناس وفق الضوابط التفسيرية وقُدّمت للناس إسقاطا واقعيا بعد تهيئة الجو المناسب والوقت المناسب في المكان المناسب فكان لها من التأثير الكبير والعجيب من السامعين على اختلاف مشاربهم ومستوياتهم وتجد من يعجب أنه كان يقرأ هذه الآيات مرارا ويرجع إليها في كتب التفسير فلا يفهم منها هذا الفهم ولا يتأثر بها هذا التأثر العميق .

والذي أريد أن أصل إليه هو أن كثير من المفسرين ـ ومنهم الآلوسي والشوكاني ـ لم يكونوا منضبطين الإنضباط الكامل في بعض تفسيرهم ـ وأقول في بعض ـ بالمنهج التفسيري الأصولي الذي رسمه النبي  وأصّله العلماء الكبار والمفسرون الإجلاء بناءا على الأصول والقواعد التي قعّدها النبي  على أساس من الوحيين الشريفين . بحيث أننا نستطيع أن نبين المظاهر الخاصة بكل مفسر لحالة عدم الإنضباط هذه من خلال تعدادها والأمثلة عليها نعاتبهم عليها ولا نؤاخذهم بها لأشياء كثيرة أهمها جلالة علمهم وعلّو قدرهم ويكفيهم فخرا أنهم نالوا الأجر على اجتهادهم حين أخطئوا غير عامدين ولا مقصّرين وحاشاهم وإنما كان ذلك بحكم الظروف التي عاشوها والأحوال التي عاصروها وما كان فيها من تيّارات فكرية وعقدية ومذهبية تركت بصماتها على نتاجهم الفكري والعلمي بألوان من التفسير ميزت الواحد عن الآخر فاللون الإشاري في تفسير الآلوسي كان له أسباب وعوامل لعل أهمها هو التأثر بالفكر الصوفي الذي كان تيّاره هو الغالب في ذلك الزمان من خلال الطرح الفلسفي من قبل أقطاب الصوفية كأبن عربي والحلاّج وغيرهم أدت بالنتيجة إلى أن كثيرا من الناس عدوا كتابه هذا من جملة التفاسير التي تتجه وجهة إشارية كما أشار إلى ذلك بعض العلماء . ( [[181]](#footnote-180) )

وهذا ما حدا بالأستاذ محسن عبد الحميد أن يقول في الآلوسي :

" إن الآلوسي كان سلفيا ومتبعا للكتاب والسنة إلا أنه نظرا لدراسته التصوف وانضمامه إلى الطريقة النقشبندية تأثر ببعض آراء المتصوفين تأثرا شعوريا قويا في بادئ الأمر ولا شعوريا ضعيفا فيما بعد ".( [[182]](#footnote-181) )

إن "هذه التفاسير الإشارية التي قيل عنها أنها يغلب عليها الشطحات الصوفية . والتي تبعدهم عن النسق القرآني وتجعل كلامهم غامضا . مما يجعلها تصنّف من قبيل التفاسير التي تعتمد الرأي المذموم لأن أصحابها لم يؤلفوها وفق المنهج الأصولي النبوي وإنما لتأييد أهواءهم أو الانتصار لمذاهبهم وأذواقهم ومواجيدهم . من ذلك تفاسير المعتزلة والمتصوفة والباطنية .( [[183]](#footnote-182) )



1. / ( المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني . 522) . [↑](#footnote-ref-0)
2. / ( صحيح مسلم 4/2090رقم الحديث/2726.وصحيح ابن خزيمة1/370برقم /357). [↑](#footnote-ref-1)
3. 2 / ( ابن منظور لسان العرب 1/ 290) . [↑](#footnote-ref-2)
4. 2 / ( المصدر نفسه 15/291). [↑](#footnote-ref-3)
5. 1 / ( أحمد رضا . معجم متن اللغة .5/749) . [↑](#footnote-ref-4)
6. 2/ ( الطبري 12/ 307 ). [↑](#footnote-ref-5)
7. 3/ ( ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز .5/431 ـ 434). [↑](#footnote-ref-6)
8. / ( الماوردي . النكت والعيون 3/ 183) . [↑](#footnote-ref-7)
9. / ( المصدر نفسه . 4 / 147). [↑](#footnote-ref-8)
10. / ( الشوكاني ، فتح القدير . 2/ 216 . وانظر ابن كثير ، 3/146 وما بعدها ) . [↑](#footnote-ref-9)
11. / ( المصدر نفسه ، 2/ 217). [↑](#footnote-ref-10)
12. / ( الراغب الأصفهاني .المفردات. 401 ). [↑](#footnote-ref-11)
13. / ( لسان العرب 11/136 ). [↑](#footnote-ref-12)
14. / ( المصدر نفسه11/137) . [↑](#footnote-ref-13)
15. / ( المصدر السابق 11/ 140) . [↑](#footnote-ref-14)
16. / ( متن اللغة 5/551). [↑](#footnote-ref-15)
17. 3 / ( أبو حيّان الأندلسي ، البحر المحيط ، 9/ 383). [↑](#footnote-ref-16)
18. 4/ ( المصدر نفسه 9 / 537). [↑](#footnote-ref-17)
19. 5/ ( أبن كثير 3/488). [↑](#footnote-ref-18)
20. 6/ ( أنظر فتح القدير . 2 / 488). [↑](#footnote-ref-19)
21. 1/ ( تفسير الماوردي 3/413). [↑](#footnote-ref-20)
22. 2 / ( لسان العرب 13 / 21). [↑](#footnote-ref-21)
23. 3 / ( لسان العرب 13/22). [↑](#footnote-ref-22)
24. 4 / (المقتضب ص/ 23). [↑](#footnote-ref-23)
25. 1 / ( لسان العرب ، إبن منظور / 23.). [↑](#footnote-ref-24)
26. 2 / ( معجم متن اللغة . 5/ 245 ). [↑](#footnote-ref-25)
27. 3 / ( أخرجه أبو داود في مسنده 4/279. وأورده القرطبي في تفسيره 1/ 37 ). [↑](#footnote-ref-26)
28. / لسان العرب . 13 / 21. [↑](#footnote-ref-27)
29. / مفردات الراغب ص/ 462ـ463 . [↑](#footnote-ref-28)
30. / لسان العرب . 13 / 24. [↑](#footnote-ref-29)
31. / أورده القرطبي في تفسيره 1/ 37. [↑](#footnote-ref-30)
32. 4 / ( البحر المحيط . 9/ 327 ). [↑](#footnote-ref-31)
33. 1 / (المصدر نفسه 9/ 327) . [↑](#footnote-ref-32)
34. / (البحر المحيط 9 / 385). [↑](#footnote-ref-33)
35. 3/ ( تفسير الماوردي 3 / 20 البيت من قصيدة طويلة أوردها ابن هشام انظر السيرة النبوية .1/ 291 [↑](#footnote-ref-34)
36. / ( صحيح مسلم 4/1927 برقم /2477. وأورده القرطبي في تفسيره 4/ 18). [↑](#footnote-ref-35)
37. / ( البرهان 2/172 ) . [↑](#footnote-ref-36)
38. / ( البرهان 2/164. وانظر الإتقان 2/ 181. والتفسير والمفسرون أيضا 1/56 ). [↑](#footnote-ref-37)
39. / ( قصة التفسير/ 36 ). [↑](#footnote-ref-38)
40. / ( أخرجه الترمذي في سننه وقال عنه أنه غريب 8/ 146). [↑](#footnote-ref-39)
41. / ( أخرجه أبو نعيم وغيره عن ابن عباس ، أخرجه الدارقطني في سننه كتاب الطهارة 4/144 برقم /8 ). [↑](#footnote-ref-40)
42. / ( قصة التفسير/ 101 ). [↑](#footnote-ref-41)
43. / ( مقدمة تفسير فتح القدير 1/ 14) . [↑](#footnote-ref-42)
44. / ( سنن الترمذي 8/ 146ـ وأبي داود 5/249) . [↑](#footnote-ref-43)
45. / ( أنظر سنن الترمذي 8/146) . [↑](#footnote-ref-44)
46. / ( مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية / 107 ـ وانظر تفسير القرطبي 1/ 33 ـ وجامع الأصول 2/4 ) . [↑](#footnote-ref-45)
47. / ( ينظر 1/ 341 ) [↑](#footnote-ref-46)
48. / ( التفسير نشأته وتدرجه / 43). [↑](#footnote-ref-47)
49. / ( انظر قصة التفسير81). [↑](#footnote-ref-48)
50. / ( فتح الباري 12/ 283باب أمور الإيمان وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 7/ 503برقم / 37571) . [↑](#footnote-ref-49)
51. / (المصدر نفسه / 81 ) . [↑](#footnote-ref-50)
52. / (المصدر السابق/ 51) . [↑](#footnote-ref-51)
53. / ( قصة التفسير / 50 ) . [↑](#footnote-ref-52)
54. / ( إتحاف البررة لبعض أحكام سورة البقرة / التفسير التحليلي ، بسام الشويكي /10) . [↑](#footnote-ref-53)
55. / ( انظر التفسير الموضوعي ، الخالدي / 29). [↑](#footnote-ref-54)
56. / ( قصة التفسير/52-53 ) . [↑](#footnote-ref-55)
57. / ( مناهج المفسرين/217 ) . [↑](#footnote-ref-56)
58. / ( قصة التفسير /128 ). [↑](#footnote-ref-57)
59. / ( المصدر نفسه / 46 ). [↑](#footnote-ref-58)
60. / ( التفسير والمفسرون ، للذهبي 2/ 382 ) . [↑](#footnote-ref-59)
61. / ( أورده البيهقي في المدخل ـ انظر البرهان 1/8) . [↑](#footnote-ref-60)
62. / ( جامع العلوم والحكم 1/342) . [↑](#footnote-ref-61)
63. / ( قصة التفسير/ 36 ) . [↑](#footnote-ref-62)
64. / ( تفسير الطبري /38 ) . [↑](#footnote-ref-63)
65. / مسند الربيع 1/311 رقم الحديث /826). [↑](#footnote-ref-64)
66. / ( قصة التفسير /132 ) . [↑](#footnote-ref-65)
67. / ( المصدر نفسه / 128 ) . [↑](#footnote-ref-66)
68. / ( صبحي الصالح ، علوم القرآن ـ/ 294 ). [↑](#footnote-ref-67)
69. / ( صحيح ابن حبان 1/276برقم / 75. والمعجم الأوسط 1/236برقم / 773) . [↑](#footnote-ref-68)
70. / ( البرهان 2/169 ) . [↑](#footnote-ref-69)
71. / ( جواهر التفسير / 38 ) . [↑](#footnote-ref-70)
72. / ( قصة التفسير/ 138). [↑](#footnote-ref-71)
73. / ( المصدر نفسه / 140 ) . [↑](#footnote-ref-72)
74. / ( المصدر السابق / 140 ) . [↑](#footnote-ref-73)
75. / ( ينظر نشأة التفسير الصوفي وتطوره ، دراسة نقدية للدكتور عبد الستار حامد المنشور في الجامعة الإسلامية ، العدد / 8 سنة/ 2000) [↑](#footnote-ref-74)
76. / ( روح المعاني 21/31) . [↑](#footnote-ref-75)
77. / ( البرهان 2/171 ) . [↑](#footnote-ref-76)
78. / ( قصة التفسير /141) . [↑](#footnote-ref-77)
79. / ( الإعجاز القرآني / 76) . [↑](#footnote-ref-78)
80. / ( قصة التفسير / 132 ) . [↑](#footnote-ref-79)
81. / ( المصدر نفسه / 134 ) . [↑](#footnote-ref-80)
82. / ( المصدر نفسه / 134 ). [↑](#footnote-ref-81)
83. / (التفسير والمفسرون2/382 ) . [↑](#footnote-ref-82)
84. / (المصدر نفسه 2/369 ) . [↑](#footnote-ref-83)
85. / ( سنن ابن ماجة 2/576.وصفوة الصفوة 2/256) . [↑](#footnote-ref-84)
86. / الحديث أخرجه مسلم 2/ 744. والبخاري 3/ 1321. وابن حبّان 15/ 141.

    2/ التراقي : جمع ترقوة وهو العظم الفاصل بين عظام الرقبة وعظام الصدر يقول الراغب فيها : هي عظم وصل ما بين ثغرة النحر والمعانق. المفردات/74 [↑](#footnote-ref-85)
87. [↑](#footnote-ref-86)
88. / أخرجه البخاري 1/ 30. ومسلم 1/74. [↑](#footnote-ref-87)
89. / المعجم الأوسط 1/30. ومسند الإمام أحمد 6/ 19. [↑](#footnote-ref-88)
90. / (صحيح مسلم 1/ 81. برقم / 28). [↑](#footnote-ref-89)
91. / مقدمة ابن خلدون ص/489. [↑](#footnote-ref-90)
92. / وهو تفسير منتقى من تفسير ابن كثير رحمه الله وغيره من التفاسير [↑](#footnote-ref-91)
93. / (التفسير الوجيز/ 283 ) . [↑](#footnote-ref-92)
94. / لسان العرب ابن منظور .1/309. [↑](#footnote-ref-93)
95. / زاد المسير لابن الجوزي 5/11. [↑](#footnote-ref-94)
96. / الجواهر الحسان للثعالبي .2/332. [↑](#footnote-ref-95)
97. / تفسير الماوردي 2/425. [↑](#footnote-ref-96)
98. / مفردات الراغب / 72. [↑](#footnote-ref-97)
99. / سورة الإسراء وبنوا إسرائيل .رسالة ماجستير. عامر الزوبعي / 346. [↑](#footnote-ref-98)
100. / التفسير والمفسرون للذهبي 2/15. [↑](#footnote-ref-99)
101. / الفرق بين الفرق / 229. [↑](#footnote-ref-100)
102. / التفسير والمفسرون ، الذهبي 2/16. [↑](#footnote-ref-101)
103. / الفرق بين الفرق . وانظر التفسير والمفسرون 2/16 [↑](#footnote-ref-102)
104. / التبصير في الدين /74. وانظر التفسير والمفسرون 2/ 18. [↑](#footnote-ref-103)
105. / التفسير والمفسرون 2/9 . عن الموافقات للشاطبي 3/392. [↑](#footnote-ref-104)
106. / التفسير والمفسرون 2/ 75. [↑](#footnote-ref-105)
107. / التفسير والمفسرون للذهبي 2/ 79 [↑](#footnote-ref-106)
108. / المصدر نفسه 2/18. [↑](#footnote-ref-107)
109. / المصدر السابق 2/ 32. [↑](#footnote-ref-108)
110. / التفسير والمفسرون 2/ 34. [↑](#footnote-ref-109)
111. / المصدر نفسه 2/39. [↑](#footnote-ref-110)
112. / التفسير والمفسرون للذهبي 2/ 266ـ 268. [↑](#footnote-ref-111)
113. / الفصوص 1/ 26ـ وانظر التفسير والمفسرون 2/ 370 [↑](#footnote-ref-112)
114. / تفسير ابن عربي 2/280. وانظر التفسير والمفسرون 1/ 237. [↑](#footnote-ref-113)
115. / الفصوص 1/191 . وانظر التفسير والمفسرون2/ 372. [↑](#footnote-ref-114)
116. / تفسير القرآن العظيم للتستري /12. [↑](#footnote-ref-115)
117. / التفسير والمفسرون2/292. [↑](#footnote-ref-116)
118. / تفسير القرآن العظيم للتستري /9ـ12. [↑](#footnote-ref-117)
119. / التفسير والمفسرون للذهبي 2/ 395. [↑](#footnote-ref-118)
120. / ينظر نشأة التفسير الصوفي وتطوره ، دراسة نقدية ، للدكتور عبد الستار حامد ، المنشور في الجامعة الإسلامية ، العدد الثامن سنة / 2000 . [↑](#footnote-ref-119)
121. / المنظور التأريخي في فكر سيد قطب ،عماد الدين خليل /85 ، وانظر مراحل تدوين التفسير عند الذهبي 1/ 130ـ وما بعدها [↑](#footnote-ref-120)
122. / في ظلال القرآن 5/407 [↑](#footnote-ref-121)
123. / المصدر نفسه 5/407. [↑](#footnote-ref-122)
124. / المنظور التأريخي / 87 . وانظر الظلال 5/408. [↑](#footnote-ref-123)
125. / المصدران السابقان /87.و5/408. [↑](#footnote-ref-124)
126. / تفسير ابن عاشور 1/19. [↑](#footnote-ref-125)
127. / يراجع المبحث الثاني من الفصل الثالث من رسالة الماجستير الموسومة سورة الإسراء وبنوا إسرائيل. للباحث عامر الزوبعي /181 [↑](#footnote-ref-126)
128. / ينظر تفسير الطبري15/12. [↑](#footnote-ref-127)
129. / تفسير ابن كثير 3/25. [↑](#footnote-ref-128)
130. / التفسير والمفسرون للذهبي 1/212 [↑](#footnote-ref-129)
131. / ابن كثير 3/ 72 وينظر كذلك ابن كثير 3/25. [↑](#footnote-ref-130)
132. / فانظر ما أورده الطبري في تفسيره ( 15/ 12ـ 21 ) والقرطبي (10/215) وابن كثير (3/25) وابن الجوزي (5/7) والماوردي ( 8/423) والآلوسي (15/16ـ17) [↑](#footnote-ref-131)
133. / ينظر 2 / 367 [↑](#footnote-ref-132)
134. / ( قلت : فالصورة واضحة في اعتماد القوم على التأريخ والتوراة والإسرائيليات أما المنهج التفسيري والأصول والقواعد لا حظ لها هنا . إذ أن أكثر الأخبار والقصص والروايات الإسرائيلية إنما جاءت عن طريق وهب بن منبه وابن إسحاق في البداية والكامل وغيرها من أمهات كتب التاريخ. [↑](#footnote-ref-133)
135. / الأصح أن يقال بيت المقدس لا هيكل سليمان فهذه تسمية يهودية لا أصل لها في الحقيقة وإنما هي من سموم يهود وقد تسربت إلى عقول كثير من المسلمين دون أن يشعروا بها فاقتضى التنبيه والله أعلم . [↑](#footnote-ref-134)
136. / أنظر ما ذهب إليه في تفسيره التحرير والتنوير في 15/29 ـ 15/37ـ 38 [↑](#footnote-ref-135)
137. / يراجع المبحث الأول من الفصل الرابع في رسالة الماجستير سورة الإسراء وبنو إسرائيل ص/205 عامر الزوبعي . [↑](#footnote-ref-136)
138. / تفسير المنار ، محمد رشيد رضا 1/10وانظر تفسير مجاهد بن جبر 1/17 [↑](#footnote-ref-137)
139. / تفسير ابن عاشور 1/46. [↑](#footnote-ref-138)
140. / أنظر استشهاده بما جاء في التوراة في تفسيره 15/32ـ 15/ 33ـ 15/37. [↑](#footnote-ref-139)
141. / أنظر سورة الإسراء وبنوا إسرائيل عامر الزوبعي ص/ 88. وانظر تفسير ابن عاشور نفسه في أهمية اللغة في تفسير القرآن 1/22 . [↑](#footnote-ref-140)
142. / مفردات الراغب / 379. [↑](#footnote-ref-141)
143. / تفسير القرطبي 10/338. [↑](#footnote-ref-142)
144. / تفسير ابن كثير 3/67. [↑](#footnote-ref-143)
145. / زاد المسير لأبن الجوزي 5/95. [↑](#footnote-ref-144)
146. / روح المعاني للآلوسي 15/186. [↑](#footnote-ref-145)
147. / تفسير القاسمي ص/4007. [↑](#footnote-ref-146)
148. / تفسير الماوردي 2/461 . [↑](#footnote-ref-147)
149. / أنظر مفردات الراغب /379. [↑](#footnote-ref-148)
150. / انظر روح المعاني 15/186. [↑](#footnote-ref-149)
151. / زاد المسير 5/69. [↑](#footnote-ref-150)
152. / المصدر نفسه 5/69. [↑](#footnote-ref-151)
153. / أنظر أسباب النزول للواحدي /220. [↑](#footnote-ref-152)
154. / روح المعاني 15/130. [↑](#footnote-ref-153)
155. / ينظر 15/130. [↑](#footnote-ref-154)
156. / أنظر البداية لابن كثير 3/81. [↑](#footnote-ref-155)
157. / ينظر سيرة ابن هشام 3/267. [↑](#footnote-ref-156)
158. / ( روح المعاني 15/130). [↑](#footnote-ref-157)
159. / ( زاد المسير 5/70). [↑](#footnote-ref-158)
160. / ( روح المعاني 15/130). [↑](#footnote-ref-159)
161. / ( زاد المسير 5/69). [↑](#footnote-ref-160)
162. / ( روح المعاني 15/130). [↑](#footnote-ref-161)
163. / ( الأساس في التفسير .سعيد حوى 6/3131). [↑](#footnote-ref-162)
164. / ( أنظر زاد المسير 5/69). [↑](#footnote-ref-163)
165. / القرطبي 10/338. [↑](#footnote-ref-164)
166. / ( الطبري 15/176). [↑](#footnote-ref-165)
167. / ( روح المعاني 15/186). [↑](#footnote-ref-166)
168. / ( تفسير ابن الجوزي5/95). [↑](#footnote-ref-167)
169. / ( قلت : ربما كان التحريم تحريم استحقاق للأرض لا تحريم دخول أو سكنى وحتى السكن لو حدث فمؤقت فلا يلبثون أن يخرجوا منها مقهورين لعدم إيفائهم بالعهد أو استجابتهم لنبيهم ). [↑](#footnote-ref-168)
170. / ( انظر الطبري 15/177 السمرقندي / 305 وتفسير مجاهد 1/371 وانظر زاد المسير 5/95.. وابن كثير 3/67 وانظر الآلوسي 15/186. [↑](#footnote-ref-169)
171. / ( انظر تفسير الماوردي 4612) . [↑](#footnote-ref-170)
172. / ( تفسير القاسمي / 4007) . [↑](#footnote-ref-171)
173. / ( انظر صفوة البيان - حسنين مخلوف ص/374 ). [↑](#footnote-ref-172)
174. / ( تفسير ابن عاشور 15/229 ) . [↑](#footnote-ref-173)
175. / ( النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ص/484 ) . [↑](#footnote-ref-174)
176. / ( انظر لسان العرب لابن منظور ص/381 ) . [↑](#footnote-ref-175)
177. / (انظر زاد المسير لابن الجوزي 5/95 ) . [↑](#footnote-ref-176)
178. / ( انظر الأساس في التفسير، سعيد حوى 6/3044 ) . [↑](#footnote-ref-177)
179. / ( يقصد العلوم الواجب توفرها في المفسر والتي سنتحدّث عنها في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى ) . [↑](#footnote-ref-178)
180. / ( التحرير والتنوير ، ابن عاشور 1/37 ). [↑](#footnote-ref-179)
181. / ( انظر على سبيل المثال دراسات في التفسير ورجاله . أبو اليقظان /116). [↑](#footnote-ref-180)
182. / ( الآلوسي مفسرا /309). [↑](#footnote-ref-181)
183. / ( علوم القرآن . صبحي الصالح /294بتصرف ) . [↑](#footnote-ref-182)